TEACING ARABIC TO NON- NATIVE SPEAKERS:
FORWARD – LOOKING VISION

تعليم العربية لغير الناطقين بها

رؤية استشرافية

د. هاني إسماعيل رمضان

منشورات
المنتدى العربي التركي
٢٠١٧





تعليم العربية لغير الناطقين بها
رؤية استشرافية



د. هاني إسماعيل رمضان

منشورات
المنتدى العربي التركي
٢٠١٧

تعليم العربية لغير الناطقين بها: رؤية استشرافية

د. هاني إسماعيل رمضان

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

منشورات المنتدى العربي التركي

Email: atformu@gmail.com

ISBN: 978-605-82363-0-1

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه بأي وسيلة سواءَ كانت ورقية أو إلكترونية أو غير ذلك، دون إذن خطي وصريح من المؤلف

تعليم العربية لغير الناطقين بها

رؤية استشرافية

المقدمة

يكتسب مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها كل يوم أرضا جديدة، وتتوالى جهود الباحثين والدارسين في تقديم الدراسات النظرية والأبحاث التطبيقية، لا سيما طلاب الدراسات الماجستير والدكتوراه.

وهذه بارقة أمل، لا سيما بعدما لاقت العربية إجحاف المخاصمين، وإهمالا الجاحدين، وتهاون المقصرين، فاللغة العربية لم تجد رعاية أو عناية من أبنائها على المستوى الرسمي أو الشعبي، وظل يُنظر إليها شَزرًا من أعدائها، وإن كانوا يتسربلون لباسها، وينتسبون إلى لسانها، في حين أن الشعوب غير العربية أعلت من قيمة العربية، واهتمت بها دراسة وتعليما.

وهنا يجب الإشارة إلى أهمية اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، وليست لغة الجنس العربي، وهو ما يفسر إقبال الشعوب الإسلامية غير الناطقة

بالعربية على تعلمها وتعليمها، بالإضافة إلى الأغراض الاقتصادية والسياسية للشعوب غير المسلمة، وهذا الإقبال والاهتمام – سواء كان نابعا من حافز ديني أو غير ديني – يستوجب علينا أن نبذل المزيد من جهد في تيسير العربية تعلُّما وتعليما واكتسابا، لا سيما أن هناك فرص متاحة ينبغي استثمارها.

ومن الدراسات التي يجدر على الباحثين صرف الهمم إليها الدراسات المستقبلية التي تقرأ الواقع وتخطط للمستقبل، أو ما يعرف بالتخطيط اللغوي، أو السياسة اللغوية.

وهذا الكتاب محاولة لاستقراء الواقع اللغوي للعربية لغير الناطقين بها، واستشراف مستقبلها، فانطلق الكتاب من أهمية العربية للأمة، مع استقراء وضعية العربية عند متحدِّثيها ومعلميها، رافعا شعار ارحموا العربية يرحمكم الله، في الفصل الأول حتى لا نكون كالدبة التي قتلت صاحبها.

وجاء الفصل الثاني ليعرض دور تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ترسيخ الهوية العربية الإسلامية، فاللغة أمن قومي وليست رفاهية ثقافية، واكتساب اللغة يعني اكتساب هوية

أما الفصل الثالث، فجاء ليوضح جهود علمائنا القدامى – رحمهم الله – في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وكيف لم يألوا جهدًا في تيسير تعليمها

وتعلمها؛ بعد اتساع الفتوحات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ودخول الناس في دين الله أفواجا.

ثم جاء الفصل الرابع ليترجم الهدف الرئيسي من الكتاب، وهو محاولة رسم سياسة لغوية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتقديم بعض الرؤى المستقبلية التي يُمكن الإفادة منها في الارتقاء بالعربية إلى مكانتها الجديرة بها، والعمل على أن تكون اللغة الثانية لدى الشعوب الإسلامية، واقعيا وعمليا إن لم يكن رسميا وسياسيا، وأن يكون أبناء هذه الشعوب من ثنائي اللغة.

وفي الحقيقة إن حقل العربية لغير الناطقين ما زال غضًّا طريًّا يحتاج إلى تكثيف الجهود، وشحذ الهمم، والتباري في تقديم ما يخدم لغة القرآن الكريم، وإذ أقدم هذا الكتاب للزملاء الأفاضل من الباحثين والدارسين، آمل أن يجدوا فيه ما ينفعهم، وأن يدفعهم إلى التسابق في الخيرات، وأذكرهم ونفسي أن الكمال لله تعالى فإن وجدوا فيه ما ينفعهم ويسرهم فهو من فضل الله تعالى، وإن وجدوا غير ذلك فهو مني ومن الشيطان، وسأكون شاكرا إذا أهدوا إليَّ عيوبي وأفادوني من آرائهم وملاحظتهم القيمة، داعيا الله تعالى أن يتقبل منهم ومنا صالح الأعمال، هو ولي ذلك والقادر عليه.

د. هاني إسماعيل رمضان

hany22@gmail.com



الفصل الأول

اللغة حياة أمة



اللغة حياة أمة

اللغة حياة أمة مقولة قالها المفكر الصهيوني «إليعازر بن يهودا» لإحياء اللغة العبرية، قبل تأسيس الكيان المغتصب في فلسطين، إذ قال: لا حياة لأمة دون لغة، واستطاع بالفعل أن يحول العبرية من لغة دينية تتلى في الطقوس الدينية إلى لغة الدراسة من الحضانة إلى الجامعة، بل استطاع أن يصنع منها لغة الخطاب اليومي والحياة المعيشية.

ليس من باب المبالغة أن نؤكد على أن إحياء العبرية ساهم بشكل مباشر في قيام دولة المغتصب في فلسطين، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير والتخاطب بين الأفراد، بل هي حضارة الأمة وحاضرها، تمثل ثقافته وهويته، والاعتزاز باللغة هو اعتزاز بالأرض والوطن، فاللغة انعكاس مباشر لجذور المرئ عبر

ذاكرة التاريخ بما فيه من آلام وآمال، انتصارات وانكسارات، ومنها وبها تستمد الشعوب حياة القلوب والعقول.

من هنا كانت مقولة إليعازر بن يهودا «لا حياة لأمة دون لغة» ما كان للكيان المغتصب أو ما يسمى بدولة إسرائيل أن تقوم على شعب ذاب في ثقافات مختلفة شرقية وغربية، وتمزق كل ممزق، وتشرب من عادات وتقاليد الحضارات المتباينة، وتقطع أوصاله في الأمم؛ إلا بإحياء اللغة، التي صنعت لهم حضارة من دون حضارة، وهوية بلا هوية.

وبمفهوم المخالفة إن الأمة التي تفتقد لغتها تفتقد وجودها، وتهدم كيانها، وتطمس تراثها، وتصبح أثرا بعد عين، وهذا يفسر لنا الجهود الحثيثة التي بذلها العدو لتهميش اللغة العربية في مقابل لغته الوافدة، وصدق صادق الرافعي حين قال: «ما ذلّت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطّت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة التي يستعمرها، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستَلحقهم من ناحيته، فعليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد، أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها فأمرهم لأمره تبع».

هذا يفسر لنا تلك الدعوات المشبوهة التي قام بها رواد الحداثة العربية أو ما يسمون أنفسهم بالتنويريين من أبناء جلدتنا، أمثال: لطفي السيد وسلامة موسى ولويس عوض وغيرهم من اتخاذ العامية لغة للآداب والعلوم، بدلا من العربية الفصحى، وارتباط هذه الدعوات بالنعرات القومية، كالدعوة للفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان، والبابلية في العراق... إلخ.

ولله در الأديب صادق الرافعي إذ أنشد دفعا عن اللغة العربية ضد هؤلاء المستغربين فقال:

أمٌّ يكيدُ لها من نَسْلِها العَقِبُ *** ولا نقيصةَ إلاَّ ما جنَى النَّسَبُ

كانتْ لهم سببًا في كلِّ مكرمةٍ *** وهمْ لنكبتها من دهرِها سببُ

لا عيبَ في العَربِ العَرْباء إنْ نَطَقوا *** بين الأعاجمِ إلاَّ أَنَّهُم عَرَبُ

والطيرُ تصدحُ شتَّى كالأنامِ وما *** عند الغراب يُزَكَّى البُلبلُ الطَّرِبُ

أتى عليها طَوال الدهرِ ناصعةً *** كطلعةِ الشمس لم تَعْلَقْ بها الرِّيَبُ

ثم استفاضتْ دَياجٍ في جَوانِبِها *** كالبدرِ قد طَمَسَتْ مِن نورِهِ السحبُ

ثم استضاءَتْ، فقالوا: الفجرُ يَعْقِبُهُ *** صبحٌ، فكانَ ولكنْ فجرُها كَذِبُ

ثم اختفتْ وعلينا الشمسُ شاهدةٌ *** كأنَّها جمرةٌ في الجوِّ تلتهبُ

سَلُوا الكواكبَ كم جيلٍ تَدَاولَها *** ولم تَزَلْ نَيِّراتٍ هذه الشهبُ

وسائلوا الناسَ كم في الأرضِ من لغةٍ *** قديمةٍ جدَّدت من زهوها الحِقَبُ؟

كما نجد مستشرقا ينصف العربية فيرى فيها أنها المفتاح الوحيد للثقافة، يقول (جورج سارتون) في كتابه (تاريخ العلم والإنسانية الجديدة): «منذ منتصف القرن الثامن وحتى أواخر القرن الحادي عشر كانت الشعوب التي تتكلم العربية تتقدم موكب الإنسانية، وبفضلهم لم تكن العربية لغة القرآن المقدسة وحسب؛ بل أصبحت لغة العلم العالمية وحاملة لواء التقدم البشري».

والآن أصبح السعي للخروج من ربقة الاستلاب الثقافي واستعادة أمجاد الأمة لا يتأتى إلا من خلال نهضة حقيقية تنطلق من النهوض باللغة واستعادة ريادتها على المستوى الوطن العربي والشعوب الإسلامية، وبدون الاهتمام التام باللغة العربية لن تكون هناك أي نهضة حقيقة.

اللغة العربية بين العزيمة والهزيمة:

تتربع اللغة العربية في مرتبةً متقدمة بين اللغات العالمية، ويزداد الإقبال على تعلمها من جميع الجنسيات، ومختلف الأعراق، وبغض النظر عن الانتماء

الديني أو الاختلاف الثقافي، فالكل مولع بتعلم اللغة العربية والجميع عنده شغف للولوج إلى عالمها السحري.

تتباين أغراض المتعلمين والدارسين للغة العربية ودوافعهم بين دوافع دينية تتمثل في رغبة المسلمين من غير العرب في تلاوة القرآن الكريم وتدبر معانيه فضلا عن تعلم شعائر الإسلام وتعاليمه السامية.

كما أن الدافع الديني عند غير المسلمين جعلهم يتعلمون العربية ويعلمونها لأبنائها للطعن في الإسلام وعلمائه، ولترديد الشبهات، وبالرغم من أن الأحقاد الاستعمارية هي التي كانت الحافز للاستشراق ودوره البارز في دراسة النصوص التراثية وتحقيقها، إلا إنهم قد أسهموا بشكل أو آخر في أحياء التراث العربي ولفت الأنظار إليه، وعلى القدر الذي بذلوه لتخريج أتباع لهم – على ذات القدر وبدون قصد – ساعدوا في تحفيز جيل مخلص للدفاع على العربية وعلومها، والتصدي لأعدائها أمثال: محمود شاكر، وأنور الجندي، ومصطفى السباعي وغيرهم.

والآن وقد احتلت اللغة العربية المرتبة الرابعة بين اللغات، ومع تزايد دور تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على مستوى جامعات العالم، يجب على أبناء اللغة العربية أن يعتزوا بلغتهم وينفضوا عن أنفسهم الهزيمة النفسية، التي جعلتهم يزدرون لغتهم ويعتزون بلغات مستعمريهم وجلاديهم.

ففي الوطن العربي نجد شبابنا يتشدقون بالألفاظ الإنجليزية أو الفرنسية، غاضّين الطرف عن دور أصحابها في احتلال الأراضي العربية وفي زراعة السرطان الاستعماري الصهيوني في مسرى النبي وأولى القبلتين، متجاهلين دور هذه الحضارات المنافقة في نهب خيرات الأمة، وثرواتها، وإثارة الفتن والحروب فيها.

وفي حين نرى أبناء العربية يتسارعون نحو لغات مغتصبهم، نجد الشعوب الإسلامية التي تهفو قلوبها للغة القرآن - لا لغة المغتصب المحتل - تقترض من اللغة العربية ألفاظها وعباراتها، فعلى سبيل المثال ٣٠٪ من ألفاظ اللغة التركية المعاصرة ألفاظ عربية، جُلها إن لم يكن كلها ألفاظ عربية صريحة، ولم تقتصر هذه الألفاظ على المصطلحات الإسلامية أو الألفاظ الشرعية، بل تعدتها إلى ألفاظ الحياة اليومية، فمن الألفاظ التي تستخدم في الحياة اليومية على سبيل المثال – لا الحصر – قلم Kalem ، نقد nakit ، تقسيط Taksit، مع الأسف Maalasaf عاجل Acil آجل Ecil تجارة Ticaret ذهن Zihin عاقل akil أجرة Ücret، صفر Zıfir .

والأمر نفسه مع اللغة الفارسية التي تكتب حتى الآن بأحرف عربية، ولا تكاد تخلو لغة من لغات الشعوب الإسلامية إلا وقاموسها يزخر بالمفردات والألفاظ العربية الأصيلة.

ومع أن مفردات اللغة العربية تقترب من ٧ ملايين مفردة؛ إلا الهزيمة النفسية للشعوب العربية جعلت الشباب العربي ينظر إليها نظرته للعاجز بل الكسيح الذي لا يستطيع أن يحبو كالأطفال، فحينما تنظر إلى اللغة التركية تجد مفرداتها تتقاسمها اللغة العربية والفارسية إلا اعتزازهم بأنفسهم جعلهم يطوعون هذه الألفاظ للغتهم ويلبسونها تركيتهم الأصيلة حتى أنك عندما تنطق بلفظة عربية مستعملة في اللغة التركية يتباهون ويفخرون توهما منهم بأن هذه اللفظة تركية الأصل، في حين أننا – نحن العرب – نستعمل ألفاظا أجنبية ذات أصول عربية، كاستعمالنا للفظة Zero بدلا من صفر، على حين أن Zero هي تحريف لكلمة صفر العربية.

يمكن القول إن الفرق بين الحالة التركية والحالة العربية هو الفرق بين الاعتزاز والاهتزاز، وهو البون الشاسع بين العزيمة والهزيمة.

فبينما نرى في المدارس والجامعات العربية إهمال وتهميشا للغة العربية، نجد في المدارس والجامعات للشعوب الإسلامية تعظيما وإجلالا لها، وبينما نشاهد جناية الحكومات والمؤسسات الرسمية في الدول العربية على العربية وعلمائها، ندرك رعاية الحكومات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية للشعوب الإسلامية للسان القرآن الحكيم، وبفضل القرآن الكريم قيض الله تعالى لهذه اللغة من المخلصين من يفنون أعمارهم في الحفاظ عليها، والذود عن حياضها.

كلي أمل في أن العربية ستعود – كما كانت – اللغة الأولى عالميا عندما تستنشق الشعوب العربية نسمات الحرية، وتحطم أغلال العبودية نحو فجر جديد تعلو فيه القيم الإسلامية وتتلاشي فيه نعرات العصبية، والحزبية، ولن يتم هذا إلا على يد المخلصين من حماة العربية وسدنتها في كل التخصصات، وخاصة المعلمين والإعلاميين والأكاديميين، فإن الدور المنوط بهم كبير، والمسئولية الملقاة على عاتقهم أكبر، ومن ثَمَّ ينبغي عليهم أن يأخذوا حذرهم وليلقوا تفثهم، فإن المرء يؤتى من مأمنه، وهو ما دفعني أن أصرخ صرخة عِتابٍ: ارحموا العربية يرحمكم الله، حتى لا نكون كالدُّبة التي قتلت صاحبها.

ارحموا العربية يرحمكم الله :

اللغة العربية تخوض حربا ضروسا من أعدائها وأعداء الإسلام، فهي في مرمى الغزو الثقافي وأول أهداف الاستعمار الفكري والسياسي، لذا نجد المستشرقين وأتباعهم لا يألون جهدا في الانتقاص من العربية وإمكاناتها في مواكبة العصر والتطور التكنولوجي، فانطلقت المطالب منذ زمن غير قريب بإحلال العاميات بدلا من الفصحى في الإعلام والصحافة والفنون والآداب، وإحلال اللغات الأجنبية بدلا من العربية في المعاهد والمدارس والجامعات، وقد نجحت إلى حدما، فما زالت الكليات تدرس الطب باللغة الإنجليزية، وخرجت الفصحى من المسرح والسينما، وتصارع للبقاء في الأدب شعرا ونثرا.

ولقد لقيت هذه المطالب أرضا خصبةً في البلاد العربية جراءً للهزيمة النفسية التي تعيش الشعوب العربية بسبب التخلف الاقتصادي والسياسي.

وبالرغم أن أننا نرفض تبرير الغزو الثقافي أو الصراع اللغوي ضد العربية إلا إنه من باب التفسير قد نتفهم أسباب هذا الصراع والغزو الناتج من مطامع سياسية من مستعمر وعدو للأمة لغةً وسياسةً.

وقد نتفهم أيضا الهزيمة النفسية التي تعيشها الشعوب العربية خاصة بعد سيطرة إعلام موجهٍ يبث سمومه على مدار ٢٤ ساعة؛ ليشوه الحقائق ويلبس الحق بالباطل.

لكن ما لا يُمكن أن يُفسر فضلا عن يُبرَّر هو إفساد العربية من قبل حماتها ومحبيها، وظلمهم لها ذلك الظلم البين، وأقصد هنا بحماة العربية اللغويين ومعلمي العربية والغيورين عليها، فنجدهم يقبحونها بدلا من أن يجملوها، وينفِّرون منها بدلا من أن يرغبون فيها، وهم كالدبة التي قتلت صاحبها.

فعلى سبيل المثال – لا الحصر – يختارون بيت شعر للمتنبي ويتداولونه في مواقع التواصل الاجتماعي فخرا وتيها بجمال العربية، احتفاء بها في اليوم العالمي للغة العربية، ألا وهو:

أَلَمٌ أَلَمَّ أَلَمْ أُلِمَّ بِدَائِهِ *** إِنْ آنَ آنٌ آنَ آنُ أَوَانِهِ

ليستشهدوا على عظمة العربية وجمالها، لله در العربية

أخلا ديوان العرب فلم يجدوا من الشعر بيتا أجمل من هذا البيت؟

بل قل: أخلا ديوان المتنبي من الفصاحة والبلاغة فلم يجدوا غير ذلك البيت؟

ألا يرسخ هذا البيت التصور الذهني الخاطئ عن صعوبة العربية؟

ألا يؤكد هذا البيت الصورة النمطية للتقعر بالفصحى؟

هذا مجرد مثال، أما الطامة الكبرى عندما نجدها من المتخصصين والأكاديميين والمعلمين الذين يعلمون الفصحى ويتشدقون بالغيرة عليها، ولكنهم بدلا من أن يعلموا الأدب والنصوص الرائقة، يأتون بنصوص عفا عليها الزمن وألفاظ مهجورة وأشعار مدفونة؛ ليظهروا براعتهم اللغوية وقدرتهم النحوية، مع أن معظمهم – إلا من رحم ربي – لا يستطيع أن يتحدث بالفصحى بدون خطأ نحوي أو صوتي، فضلا عن أن يتحدث بها بطلاقة أو سلاسة.

وقد رأيت بأم عيني وسمعت بأذني من يستعرض قدرته اللغوية على طلاب العلم من متعلمي العربية من الشعوب الإسلامية، فيقول أحدهم

للطلاب الذين ما زالوا في مستوى المبتدئ في تعلم العربية: سآتيكم بكلمات من بطون الكتب لم تسمعوا عنها من قبل.

أما الآخر فيشرح لطلابه المبتدئين أنواع التنوين: تنوين التمكين وتنوين التنكير وتنوين المقابلة وتنوين العوض، وهم لا يعرفون الفرق بين التنوين والنون.

ولا يخفى عليكم ما يقوم به معلمو العربية في المدارس والمعاهد والكليات من اهتمام بالنحو والصرف على حساب الملكة الأدبية واللغوية، فيعلمون طلابهم قواعد اللغة، فإن كان طالبا مجتهدا محبا للعربية أصبح عالما نحويا نحريرًا ملما بقواعد اللغة شاردها وواردها، ولكن إذا طلبت منه أن يتحدث مرتجلا في موضوع انتكس إلى العامية، أو تحدث بفصحى ركيكة تشوبها الأخطاء والزلات، وإن كان طالبا عاديا نقم على العربية ونحوها لما وجد من صعوبة وغرابة.

هذا على مستوى التدريس أما على مستوى المحافل والمجامع تجد المتخصصين والغيورين يمسكون بملقاط ليلتقطوا الأخطاء اللغوية، ويتجادلون فيما لا جدوى منه، فقل تلفاز ولا تقل تلفزيون، وقل حاسوب ولا تقل كمبيوتر كأن التلفزيون والكمبيوتر صناعة عربية منذ الجاهلية وقد حرفنا ألفاظها ومبناها.

وقل مظلة ولا تقل شمسية لأن الأولى إحدى مباني اسم آلة والثانية لا مبنى لها، وكأن اللغة قياسية لا سماعية.

وقل هو طالب ماهر ولا تقل هو طالب شاطر لأن شاطر مبتذلة مولدة، ولا تأبه لقول أبي نواس:

ومُلِحَّةٍ بالعَذلِ تَحسَبُ أنّني ... بالجهلِ أتركُ صُحبةَ الشُّطّارِ

فأمه فارسية ولا يحتج بقوله

والأغرب والأدهى من ذلك أنهم يدعون إلى استعمال الفصحى وعندما يستعمل الناس الألفاظ الفصحى ويتداولونها يهجرها اللغويون بدعوى الابتذال، أي كثرة استعمال العامة لها، معادلة غريبة يدعونك لتستخدمها وعندما تستخدمها يدعونك لتركها لأنه كثر استعمالها، أي منطق هذا، لقد ظلم اللغويون العربية ظلما بينا:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند.

تعاني اللغة العربية بين مطرقة الأعداء وسندان الأبناء، فالأول يتربص بها المنون والثاني يوردها المهالك، فكان حتما على كل محبٍّ للعربية أن يشمر عن ساعديه، ولا يألو جهدا في خدمة لغة القرآن، تعليما وتعلما، بصفة عامة ولغير الناطقين بصفة خاصة.



الفصل الثاني

دور تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ترسيخ الهوية العربية : رؤية استشرافية (*)



* بحث منشور بمجلة آفاق الثقافة والتراث الإماراتية، ع ٩١ سبتمبر ٢٠١٥

المقدمة:

باسم الله الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على من نزل على قلبه تنزيل رب العالمين بلسان عربي مبين ليكون من المنذرين.

أما بعد:

فبالرغم من الإهمال الشديد والتقصير البين من أصحاب اللسان العربي إلا أن الإقبال على اللغة العربية يزداد يوما بعد يوم بشكل مطرد ومتسارع ، وإن تعددت الأسباب والأغراض لهذا الإقبال المتزايد ، فالشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية تقبل على تعلم اللغة العربية

لفهم العلوم الإسلامية وممارسة الشعائر والطقوس الدينية، بينما نجد غير المسلمين يهتمون بدراسة اللغة العربية لتحليل الثقافة السائدة، ولإدراك المفاهيم التي تشكل العقلية العربية المعاصرة وتؤثر في توجهاتها، ولمعرفة الأنماط السلوكية للشعوب العربية، مما يسهم بشكل بارز في اتخاذ القرار الملائم عند صناع القرار في الدوائر الغربية، وقد لعب الاستشراق – ولا زال – هذا الدور الذي يخدم الأطماع الاستعمارية وعلى رأسها محو هوية الأمة.

ولكن هل يمكن من خلال تعليم اللغة العربية ترسيخ الهوية العربية الإسلامية عند الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية واكتساب أرضا جديدة للعربية؟

وهل بالإمكان توجيه الدراسات الاستشراقية إلى عيون الحضارة العربية والإسلامية، وتحويل الدفة من دراسات معادية إلى دراسات منصفة ومحايدة تنظر إلى الحضارة العربية في مسارها الطبيعي ضمن الحضارات الإنسانية؟

في هذه الورقة نحاول الإجابة عن هذين السؤالين علنا نخرج بإجابة تسهم في رسم خارطة مستقبل للغة العربية الوعاء الرباني للهوية العربية والإسلامية، وقد جاء تقسيم البحث كالتالي:

التمهيد: جدلية اللغة والهوية.

المبحث الأول: إسهامات غير العرب في الحفاظ على اللغة العربية.

المبحث الثاني: إسهامات المنصفين من المستشرقين في إحياء الثقافة العربية.

المبحث الثالث: مقترح لتوظيف تعليم اللغة العربية في ترسيخ الهوية.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: جدلية اللغة والهوية:

تُعد اللغة من أهم المقومات الأساسية للهوية، إذ في بوتقتها ينصهر الاعتداد بالذات الحاضرة مع الاعتزاز بالانتماء إلى روح الماضي، ومن خلالها تجري محاولات تشكيل المستقبل، فاللغة هي الخط الزمني الذي تلتقي فيه الأجيال بكل آمالها وآلامها، وهي النابضة بمشاعرهم ووجدانهم قبل أفكارهم ووعيهم، ومن ثم يرى هيردر (١٨٠٣) «أن قلب الشعب إنما ينبض في لغة الشعب، وروح الشعب تكمن في لغة

أسلافه، وهي الوعاء الذي استودعته الشعب كل ما أنجزه من نفائس الفكر، وذخائر الأعراف والفلسفات والعقائد»[1].

وإن كانت اللغة تميز الجنس البشري عن غيره من الكائنات الحية بأنه حيوان ناطق؛ فإنها – أيضا – تمييزه بأنه كائن ذو تاريخ ينقل تجاربه وخبراته من جيل إلى جيل، حيث «إنها تحتفظ على تتابع العصور وتنوع الحضارات بقيمتها ومكانتها، فهي المظهر المادي للوجود الحقيقي للإنسان، فحين يفنى الأفراد وتتدثر الجماعات لا يبقى منها ذا قيمة إلا ما حفظته اللغة، وهى القوة الخفية التي تحرك الأفراد وتوجه المجتمعات، وتعي الحضارات»[2].

ومن هنا كانت اللغة من أقدم تجليات الهوية لدى الجماعة البشرية، فاللغة في أساسها ظاهرة جماعية واجتماعية يدور في فلكها الأفراد، وهي التي تسهم بشكل بارز في صياغة خصائصهم المشتركة، «فاللغة هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها،

---

(١) اللغة الهوية: إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقة: د. فيصل الحفيان، مقال بمجلة التسامح العمانية، شتاء ٢٠٠٤، ع ٥، ص ٥٢.

(٢) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مادة لغة، الموقع الالكتروني للموسوعة: http://elazhar.com/mafaheemux/24/4.asp

وجودا متميزا قائما بخصائصه، تتحد بها الأمة في صور التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة»[1] وإلى هذا أشار فخته (ت ١٨١٤) بقوله: «إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كيانا واحدا متكاملا ربطته الطبيعة بوشائج متينة، وإن تكن غير مرئية»[2].

بذلك تتجاوز اللغة النظرة القاصرة التي تحصرها في كونها مجرد أداة للتواصل بين أفراد جماعة من البشر للتعبير عن حاجات الإنسان ومتطلباته الفطرية من مأكل وملبس، أو مجرد وسيلة للتعبير عن مشاعره من فرح وحزن وخوف وأمن؛ فالإنسان يستطيع أن يتواصل ويتفاهم بدون اللغة المنطوقة أو حتى المكتوبة، فالأخرس – مثلا – يتواصل مع الآخرين ويتفاهم معهم عبر الإشارة.

بل إن غاية التواصل والتعبير عن الحاجة تتحقق لأي كائن حي، وليست للجنس البشري فحسب، فلا شك في أن الكائنات الحية على مختلف أجناسها وتباين أنواعها يمكنها التعبير عن متطلباتها الفطرية، كما لديها القدرة على التواصل فيما بين أفرادها، فضلا عن التواصل مع البشر

(١) وحي القلم: مقال: اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣ ص ٢٨

(٢) اللغة الهوية: إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقة: ص ٥٣

«فالحيوان ينقل حاجته إلى الطعام أو الري أو الإشباع، وينقل مشاعره خوفا وتهديدا وترحيبا من خلال تنوع في درجات الصوت، وحركات الوجه، وتقلص الأعضاء أو تهللها، وهز الذيل أو سكونه، وغير ذلك من الوسائل التي ندركها وقد تعارفنا على فك شفرتها»[1].

قد أدرك علماؤنا – قديمًا – هذه المسألة وأكدوا على أن اللغة المنطوقة والمكتوبة ليست هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن مكنونات النفس وحقائق الحاجات، بل هناك وسائل أخرى، مثل: اللفظ، والخطّ، والإشارة، والعقد؛ وإلى هذا أشار الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م) في «الحيوان»[2] وعليه عرف البيان في «البيان والتبين» فقال:

«البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتي يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام

(١) إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية تطوير اللغة العربية: د. أحمد درويش، نهضة مصر، ٢٠٠٦، ص ١٤.

(٢) الحيوان للجاحظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي، ط٢، ١٩٦٥، ١/ ٤٥

فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك البيان في ذلك الموضوع»[1].

بيد إن كان بمقدور الكائنات الحية (غير الناطقة) التعبير عن الحاجات والمشاعر العاجلة، لكنها لا تستطيع التحدث عن الماضي والحاضر، أو التعبير عن الأفكار المجردة، فمثلا قرد الشمبانزي — وهو من أذكى الحيوانات – «لم يستطع حتى الآن أن يخرج من إحدى التجارب النفسية؛ ليقول للقرد الذي يليه في الدور: هناك عالم مجنون سوف يعطيك موزة إذا استطعت انتقاء العنصر الغريب، بتعبير آخر لا يستطيع القرد ترجمة أية عمليات يستخدمها للاستحضار الداخلي لمشكلة ما في صورة يمكن أن يوصلها خارجيا»[2].

ومن ثم فإن اللغة تتجاوز هذا الإطار المحدود الذي يختزلها في وظيفة أدائية إلى عالم أوسع وأرحب يجعل منها – حقيقة لا مجازًا – أسًّا ترتكز عليه الهوية، ولبنة يتشكل منها العالم، فمن خلال اللغة تستطيع

(١) البيان والتبين للجاحظ: تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٧، ١٩٩٨م، ١/ ٧٦

(٢) التفكير واللغة: جوديث جرين، ترجمة د. عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص ١١٣

تشكيل العالم وإعادة بنائه، فاللغوي "همبولد" (ت١٨٣٥) يرى أن اللغة لا تيسر فهمنا للعالم فقط وإنما هي أداة لتغيير العالم وإعادة بنائه[١] وعلى حد تعبير "جاك دريدا" (ت ٢٠٠٤) فإن اللغة تحمل العالم في جوفها، وهي الهواء الذي نتنفسه[٢]، وهو ما أشار إليه - أيضا – وورف (ت ١٩٤١) بقوله: بأن اللغة التي يتحدثها المرء تقود الفرد لإدراك العالم بطرق مختلفة[٣]. وهو ما يؤكده أهل النسبية اللغوية، حينما يقولون: «لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي»[٤].

تكمن هنا خطورة اللغة على تشكيل هوية الفرد وصياغتها، وما يمكن أن يمثله هذا من خطر محدق على مصير الأمة، فاللغة هي الذات الفردية وهي الهوية القومية في آن، وبالتالي قدرتها في إدارة الصراع الإيديولوجي، والسيطرة على مصير الأمم ومقدراتها عن طريق السيطرة

---

(١) انظر: واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في الهوية، د. مها حسن يوسف القصراوي، بحث مقدم لكلية التربية والتعليم العام، جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، الإمارات العربية، ص٥

(٢) انظر: الثقافة العربية وعصر المعلومات، د. نبيل علي، عالم المعرفة، ع ٢٦٥ يناير ٢٠٠١، الكويت، ص٢٣١

(٣) التفكير واللغة: ص ١١٦

(٤) انظر: الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص٢٣٢

والتحكم في عقول أبنائها، وتوجيه رؤاهم الفكرية وميولهم النفسية، «فإذا أردت السيطرة على قوم فعليك أن تفهم لغتهم لتهيمن عليهم»[1]، لأنه حسب نظرية النسبية اللغوية السيطرة على لغة الإنسان تعني السيطرة على أسلوب تفكيره لأن الإنسان يعيش عالما لغويا لا عالما ماديا ولا عالما فكريا.

وهو ما يفسر لنا اهتمام القوى الاستعمارية بالغزو الثقافي والحرب الإيديولوجية، وهو ما اصطلح عليه حديثا بالإمبريالية الثقافية، يقول جالوب (ت ١٩٨٤) مؤسس منظمة جالوب الأمريكية لاستطلاع الرأي، والتي تلعب دورا بارزا في توجيه متخذي القرار في الإدارة الأمريكية: «إن انفاق خمسة بلايين دولار في الوقت الحاضر من أجل إنتاج كمية من الدبابات والمدافع والبوارج لن تكفل لنا درجة من التفوق التي تؤدي للنصر النهائي على الشيوعية التي يكفيها إنفاق المبلغ نفسه على الحرب الإيديولوجية»[2].

---

(١) انظر: واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في الهوية، ص٥

(٢) انظر: د. عباس الخفاجي، بحث الأبعاد الاقتصادية للعولمة -الإسلام في عصر العولمة المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم بالقاهرة، مايو ١٩٩٩، ص ٣

وهو ذات التوصية التي تبناه من قبل المستعمر الفرنسي عندما اتجه لاحتلال الجزائر، فمما أوصى به الحاكم الفرنسي وقتئذ جيشه المحتل قوله: «علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة» وهي ذات الوصية التي أوصى بها نابليون بونابرت من قبل جيوشه المتجه لاحتلال مصر حين قال لهم: «علموا الفرنسية ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن»(١).

وفيما يبدو أن العقلية الاستعمارية عقلية واحدة منذ بدء الاستعمار فأرسطو يقول لتلميذه الإسكندر الأكبر: «إذا خرجت للحرب وفتحت مدينة فاذهب وابحث عن كاتب أغانيها فهو حاكمها»(٢).

فكانت – ولا زالت – اللغة هي المحور الرئيس لصراع الوجود وصراع الهويات، فبقاء اللغة حياة للأمة وهويتها واندثار اللغة اندثار للأمة هوية وحضارة، فصراع اللغة هو صراع البقاء والفناء «فما من

---

(١) انظر: واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في الهوية: ص ١٤

(٢) السابق: ص ١

صراع بشري، إلا ويُبطن في جوفه صراعا لغويا، حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية»[1].

لهذا أدركت الأمم الحديثة أهمية الصراع اللغوي في الحفاظ على وجودها وترسيخ هويتها فعملت جاهده على إحياء لغة موات رغبة في تكوين شخصية قومية وهوية وطنية، وليس بعيدا عنا تجربة الكيان الصهيوني في إحياء العبرية بعد اندثارها واقتصارها على مجرد طقوس وشعائر دينية في المعابد والمحافل الدينية، استطاع الكيان الصهيوني أن يجعل من اللغة العبرية المندثرة لغة حياة يومية ولغة دراسة من الحضانة إلى الجامعة، «إذن ليس من باب المبالغة القول بأن إحياء العبرية ساهم بشكل مباشر في قيام دولة المغتصب في فلسطين، فبدون مقولة إليعازر بن يهودا لا حياة لأمة دون لغة ما كان للكيان المغتصب، أو ما يسمى بدولة إسرائيل، أن يقوم على شعب ذاب في ثقافات مختلفة شرقية وغربية، وتمزق كل ممزق، وتشرب من عادات وتقاليد الحضارات

---

(١) الثقافة العربية وعصر المعلومات: ص٢٣٢

المتباينة، وتقطع أوصاله في الأمم؛ إلا بإحياء اللغة، التي صنعت لهم حضارة من دون حضارة، وهوية بلا هوية»[1].

وبمفهوم المخالفة إن الأمة التي تفتقد لغتها تفتقد وجودها، وتهدم كيانها، وتطمس تراثها، وتصبح أثرا بعد عين، وهذا ما يميط اللثام عن الجهود الحثيثة التي بذلها المحتل في الوطن العربي لتهميش اللغة العربية في مقابل لغته الوافدة، وهو ما تنبه له الرافعي عندما تعالت الصيحات ضد اللغة العربية، فقال:

«لا جرم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر، حتى إن أبناء الأب

---

(١) اللغة حياة أمة: د. هاني إسماعيل، مقال بجريدة الحرية والعدالة، بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠١٣م

الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشيء على لغة، ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء»[1].

وبناء عليه فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير والتخاطب بين الأفراد، بل هي حضارة الأمة وحاضرها، تمثل ثقافته وهويته، والاعتزاز باللغة هو اعتزاز بالأرض والوطن، فاللغة انعكاس مباشر لجذور المرء عبر ذاكرة التاريخ بما فيه من آلام وآمال، انتصارات وانكسارات، ومنها وبها تستمد الشعوب حياة القلوب والعقول، «وما ذلّت لغة شعب إلا ذل ولا انحطّت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضًا على الأمة التي يستعمرها، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيته، فعليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد، أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها فأمرهم لأمره تبع»[2].

---

(١) وحي القلم: ٣/ ٢٩

(٢) الصفحة نفسها.

وهذا ما يحتم على أبناء الأمة بأسرها، وعلى مختلف الأصعدة، بذل ما في وسعهم للحفاظ على لغتهم، ومواجهة كل التحديات والمعوقات التي تقف حجر عثرة أمام النهوض بها والارتقاء بها نحو العالمية، «وقد قال غوستان لوبون (ت ١٩٣١) إذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها»(١) ويتطلب هذا أن يعمل كل في مجاله على نشر اللسان العربي سواء بالتعريب للعلوم ومستجدات العصر أم بتيسير تعليمها وتدريسها على مستوى الناطقين بها وغير الناطقين بها في آن.

إسهامات المسلمين غير العرب في الحفاظ على اللغة العربية:

خصّ الله تعالى اللغة العربية دون غيرها من لغات العالم بنزول القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿إنَّا أنزلناه قُرآناً عربيّاً لعلَّكم تعقلون﴾ [يوسف: ٢] وقال عز وجل ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥] فرفع قدرها وكرم شأنها، وجعل منه لغة إنسانية لا تختص بجنس دون آخر، أو بمكان دون غيره، «ومن استجمعها من الزنوج

---

(١) الفصحى لغة القرآن: أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٥٥

فهو عربي أصيل لا يعيبه لون ولا يؤخره جنس، وقد قامت الأمة الإسلامية منذ العصور الأولى على جعل الاستعراب موردا لا يغيض في إمدادها بالحياة والنماء، لا في دينها فحسب، بل في أدبها من شعر ونثر، فنبغ في علوم الدين وفنون الأدب جم غفير من الأعاجم، وتولى مناصب الفتوى والقضاء والإدارة والحكم رجال منهم كثير»[1].

وقد صرح بذلك ابن تيمية من قبل فقال: «ما ذكرناه من حكم اللسان العربي وأخلاق العرب يثبت لمن كان كذلك، وإن كان أصله فارسيا، وينتفي عمن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشميا»[2]، كما روى ابن تيمية أثرًا عن النبي صلى الله عليه وسلم يعضد هذا الرأي، فروى أنه جاء قيس بن حطاطة إلى حلقة فيها صهيب الرومي وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء؟ فقام معاذ بن جبل فأخذ بتلابيبه، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقالته، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضبا

---

(١) ظلام الغرب: محمد الغزالي، نهضة مصر، الطبعة الأولى، ص٥٦ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: تقي الدين ابن تيمية ، تحقيق ناصر عبد الكريم عقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ص٤٥٦ .

يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودي: أن الصلاة جامعة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: أيها الناس، فإن الرب رب واحد، والأب أب واحد، والدين دين واحد، وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم، إنما هي لسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي، فقام معاذ بن جبل فقال: بم تأمرنا في هذا المنافق؟ فقال: دعه إلى النار. فكان قيس ممن ارتد فقتل في الردة[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر في أي من الكتب السماوية التي أنزلها اللسان الذي نزل به ما عدا القرآن الكريم، ولعل الحكمة في ذلك أن القرآن هو ذاته معجزة الإسلام التي تحدى الله بها العرب والعجم ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن الخصائص التي تفرد بها القرآن الكريم عن الكتب السماوية السابقة الجمع بين معجزة التحدي والمنهج التشريعي، «حيث نزل جامعاً بين أمرين: أنه منهج سماوي يُنظِّم حركة الحياة، وهو في الوقت

(١) انظر: السابق، ص٤٦٠.

نفسه معجزة مصاحبة للمنهج لا تنفكّ عنه إلى قيام الساعة، أما الكتب السابقة فكانت تأتي بمنهج فقط، أما المعجزة فشيء آخر منفصل عن الكتاب، فمعجزة موسى العصا واليد وكتابه التوراة، ومعجزة عيسى إبراء الأكمة والأبرص، وكتابه الإنجيل، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد انفرد بأن تكون معجزته هي منهجه»[1] .

وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة المنهج والمعجزة في آن، مما كفل لها البقاء والخلود، وضمن لها حصانة ربانية مستمدة من قداسة القرآن كتاب الله المعجز الخالد، والذي تكفل الله تعالى من فوق سبع سموات بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] «ومن هنا أصبح القرآن الكريم ولسانه حقيقة واحدة لا ينفك أحدهما عن الآخر، ويعتدى على أحدهما من حيث يطعن الآخر، ويستبين لنا ما في الكتاب من ذخائر العلم والمعرفة ما دامت صلتنا وثيقة بلسانه»[2].

(١) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع دار الأخبار، ج ١٤ ص ٨٧٢٨

(٢) اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة: د. السيد رزق الطويل، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد ٦٠، ربيع الأول ١٤٠٧ هـ، نوفمبر ١٩٨٦ م ص١٦

ولا يفوتني أن أذكر بأن هذا الارتباط المقدس لا يدعو إلى التقاعس والتواكل بزعم أن حفظ اللغة من حفظ القرآن وأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظهما، بل يدعو هذا الارتباط المقدس إلى النفير لزود عن حياض الدين والأمة، كما يتطلب مزيدًا من العمل الدؤوب والجهد المتواصل؛ حتى لا نقع في المحظور ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩] «ولا ريب أن المسلمين والعرب يعلمون جيدا هدف الغزو، وغرض الحملة، ويثقون تماما بأن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي أو المسلم قواما يميزه عن سائر الأقوام ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان»(١).

والحقيقة التي لا مراء فيها أن القرآن الكريم هو الذي مد اللغة العربية بتلك الطاقة الهائلة التي مكنتها من اجتياز هذه المسيرة الطويلة بدون توقف، برغم العقبات التي واجهتها، والحروب التي خاضتها، «ولا ريب أن القرآن هو مصدر تلك الظاهرة الخطيرة الغريبة، وهي أننا نفهم الآن لغة امرئ القيس وقد مضى عليها خمسة عشر قرنا، بينما لا

---

(١) الفصحى لغة القرآن: ص٤١

تستطيع أية لغة أن تبقى على إهابها أكثر من ثلاثة أو أربعة قرون ثم تتقمص صورة جديدة، أما لغتنا في وحدها اللغة الخالدة»[1].

وقد فطن العدو لهذه الحقيقة وأيقن بها، وعلم أنه السر في تماسك المسلمين وتمسكهم بعقيدتهم؛ فبروكلمان صاحب تاريخ الأدب العربي ينسب الفضل للقرآن الكريم والإسلام ويشير إلى أن المسلمين جميعا مؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أُحلّ لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى.

أما الدكتور ستنجاس فيجيب عن تساؤل: ماذا كان مصير هذه اللغة العربية لو لم يكن محمد ولو لم يكن القرآن؟ بأنه لولا القرآن لذهب العرب وذهب معهم لسانهم وشعرهم المليء بالغزل والحرب ولما جاء القرآن أبقى بطبيعته على هذا التراث وأوجد من مختلف اللهجات العربية لغة موحدة مكتوبة، هي لغة الأدب العربي إلى اليوم[2]، «من أجل هذا كانت الصليبية أكثر دهاء حين عدلت عن حرب الإسلام مباشرة

---

(١) السابق: ص ٣٤

(٢) السابق: ص٣٩ وما بعدها

واستبدلت بها حرب اللسان، لتصيب الهدفين بسهم واحد»[1]، وغرضهم في كل هذا هو عزل المسلمين عن دينهم وموروثهم الحضاري من خلال الاستلاب اللغوي والثقافي، ومن ثم ضياع هويتهم وشخصيتهم، مما يضمن تبعيتهم الاقتصادية والسياسية والفكرية، ويرسخ الهيمنة الغربية على مقدرات الأمة وثرواتها.

فإن الفضل كل الفضل يرجع إلى القرآن الكريم والإسلام في اتساع رقعة اللغة العربية وانتشارها في الأقطار الإسلامية، لما تمثله اللغة العربية من أهمية في الإسلام، حتى صارت جزءًا من عقيدة كل مسلم ودينه مهما تباين لسانه أو اختلف جنسه أو تنوع وطنه، يقول ابن تيمية مؤكدًا هذا المعنى: «إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[2].

استشهد ابن تيمية بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى موسى الأشعري الذي جاء فيه: «أما بعد: فتفقهوا في السنة وتفقهوا في

---

(١) اللسان العربي والإسلام: ص ١٦

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ص ٥٢٧

العربية وأعربوا القرآن، فإنه عربي. وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم. وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله»[1].

لا نريد أن نستطرد في هذه النقطة وهي مدى ارتباط اللغة العربية بالقرآن والإسلام، ولكن ما نبغي الإشارة إليه هو أن هذا الارتباط ضمن الحفاظ على اللغة واستمراريتها حتى اليوم، كما كفل لها الانتشار والاتساع بين العباد والبلاد على مر العصور وتباين الأجيال، «وأن ارتباط اللغة العربية بالقرآن وأثره فيها هو التحدي الخطير الذي واجه الاستشراق والتغريب والغزو الثقافي والتبشير والاستعمار في العصر الحديث، فقد كانت الخطة – ولا تزال – موضوعة على أساس فصم هذه العلاقة وقطع هذه الصلة وعزل القرآن عن اللغة العربية ودفع اللغة العربية إلى الطريق الذي سارت فيه اللغات من قبل أن تتطور وتتغير ويجرفها تيار العصر ودعوات الهدم حتى ينتهي أمرها إلى مجموعة من

---

(١) نفس الصفحة

اللهجات؛ فالخطر كله من لغة القرآن والهدف كله هو الفصل بين اللغة والقرآن حتى تفقد اللغة ذلك المستوى المرتبط بالقرآن وبيانه، فقد وضح من دراسة تاريخ اللغة كيف كان القرآن هو الحافظ لها من الضياع حتى في أشد عصور انحطاط اللغة التي بدأت باكتساح المغول والتتار وامتدت إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري»[1].

سنعرض في هذا المبحث لمحة عن بعض جهود العلماء المسلمين الذين أسهموا بشكل بارز في اللغة العربية وعلومها، وكانت لهم بصمة واضحة بالرغم من أنهم لم يكونوا من العرب نسبًا، بل كانوا منهم لسانًا، وهم جم غفير أكثر مما أن يحصوا، وقد صار بعضهم من أئمة العربية المبرزين، وهم في ذلك كله لا يحركهم إلا الوازع الديني ومظلة الإسلام الحنيف، وقد عبر الثعالبي في مقدمة كتابه فقه اللغة وسرُّ العربية عن هذا الوازع وذلك الحافز فقال:

«إنّ مَن أَحَبَّ اللهَ أحبَّ رسولهُ، ومن أحبَّ النّبي أَحَبَّ العَربَ، ومَن أحبَّ العربَ أحبَّ اللُّغة العربيّةَ التي بها نزلَ أفضلَ الكُتبِ على أفضلَ العجمِ والعربِ، ومَن أحبَّ العربيّةَ عُنيَ بها وثابرَ عليها، وصرفَ

(١) الفصحى لغة القرآن: ص٤١

هِمَّتُهُ إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة. والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا يَحْسُنُ فيهما أثره ويطيب في الدارين ثمره»[1].

جهود سيبويه في اللغة العربية نموذجا :

من هؤلاء الذين تعلموا العربية وعلموها حتى صاروا من أئمتها المبرزين العالم النحوي سيبويه صاحب أشهر كتاب في النحو العربي :

---

(١) فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرازق المهدي، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ١٥

(الكتاب) أو (كتاب سيبويه) ويجدر بنا هنا أن نعرض ترجمة الزركلي لسيبوية في الأعلام كاملة، فهي على إيجازها وافية:

سِيبوَيْه : ١٤٨ — ١٨٠ هـ = ٧٦٥ - ٧٩٦ م:

عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه - ط" في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي. وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. وعاد إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حُبسة. و"سيبويه " بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقا جميلا، توفي شابا. وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف. ولأحمد أحمد بدوي "سيبويه حياته وكتابه - ط" ولعلي النجدي ناصف "سيبويه إمام النحاة — ط"[١].

(١) الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢، ٥/ ٨١ ، والمقصود بـ (ط) أنه مطبوع.

تجلت ملامح الهوية الإسلامية في شخصية سيبوية فالبرغم من أنه كان يعتز بأصله الفارسي[1] حتى إنه كان يختلف إلى مجالس العلم وله ذؤابتان وهي سمة من سمات أبناء الفرس، فقد قال أبو زيد الأنصاري «كان سيبويه غلاما يأتي مجلسي وله ذؤابتان»[2]، كما أن لقب سيبويه هو لقب فارسي غلب على اسمه العربي عمرو، بيد إن رغبته الجامحة لفهم الإسلام والتفقه في شرائعه والاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم واتباع نهجه جعلته يتجه إلى الجلوس بين الفقهاء والمحدثين، فقد ذكر الفيروزابادي عن محمد بن جعفر التميمي أن سيبويه كان أولا يصطحب الفقهاء وأهل الحديث، وكان يستملي على حماد بن سلمة[3] «وسمع الحديث وكان شديد الأخذ، وكان يستملي على حماد بن سلمة»[4].

---

(١) انظر: سيبويه إمام النحاة على النجدي ناصف، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ص ٧٠

(٢) مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ص٤٢

(٣) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: الفيروزابادي، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص٢٢٢

(٤) إنباه الرواة بأنباء النحاة: جمال الدين القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٦م، ٢/ ٣٤٩

وتروي لنا المصادر التاريخية سبب تعريجه إلى أهل اللغة وانصرافه عن أهل الحديث أنه لما قدم البصرة ليكتب الحديث لزم حلقة حماد بن سلمة «فبينا هو يستملي على حماد قول النبي صلى الله عليه وسلم: ليس من أصحابي إلا من لو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبا الدرداء. فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء وظنه اسم ليس، فقال حماد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما (ليس) ها هنا استثناء، فقال: سأطلب علما لا تُلَحنِّني فيه؛ فلزم الخليل فبرع»[1].

وفي رواية أخرى عن حماد نفسه قال: «جاء سيبويه مع قوم يكتبون شيئا من الحديث، فكان فيما أمليت ذكر الصفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: "صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا" وهو الذي كان يستمل، فقال: "صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفاء" فقلت: يا فارسي لا تقل الصفاء؛ لأن الصفا مقصور، فلما فرغ من مجلسه كسر القلم، قال: لا أكتب شيئا حتى أُحكم العربية»[2].

(١) طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ص ٦٦.

(٢) مجالس العلماء: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص١١٨

ويُستدل من هاتين الروايتين حرص سيبويه ومعاصروه على تعلم اللغة العربية، وتقديمهم لها على سائر العلوم بما فيها العلوم الشرعية، بل إن شيخه حماد بن سلمه نفسه كان يفضل تعلُّم العربية عن الدروس الشرعية، فقد روى الفيروزابادي أنه «كان يمر بالحسن البصري في المسجد فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية ليتعلم منهم»[1].

وقد اقتفى سيبويه أثر شيخه، ووفى بعهده الذي قطعه على نفسه، وتعلم العربية حتى بلغ مرتبة مرموقة بين أئمة العربية على مر العصور، ولا يزال إلى وقتنا الحاضر علما من أعلام الدرس النحوي واللغوي الأفذاذ الذين شهد لهم القاصي والداني من علماء اللغة العربية في جميع الأمصار، «قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج: إذا تأملت الأمثلة في كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة»[2]، وبلغت منزلة سيبويه أن كان يُكتفى شيوخه بتزكيتهم، وعلو منزلتهم بأخذه منهم وروايته عنهم، يقول صاحب "مراتب النحويين" في ترجمه أبي زيد سعيد

---

(١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ص١٢٦

(٢) إنباه الرواة بأنباء النحاة: ٢/ ٣٥٨

بن أوس الأنصاري: «وقد أخذ عن أبي زيد اللغة أكابر الناس، منهم سيبويه، وحسبك»[1].

احتل كتاب سيبويه الصدارة بين كتب النحو العربي، فهو الأول زمنا ورُتبة، لم يسبقه إليه أحد في التصنيف المنهجي لقواعد اللغة وبسطها، فالنحو قبل سيبويه لم يكن علما مستقلا بذاته، له أبواب وفصول ومباحث، وإنما كان مجرد مسائل متناثرة ومتفرقة بين كتب الأدب واللغة فضلا عن كتب الفقه والسنة «فاستطاع سيبوبه أن يجمع فيها كل مسألة إلى نظائرها فاعتبر بذلك كتابه أول كتاب في تاريخ النحو العربي، وهو ما جعلهم يطلقون عليه معجزة النحو، لكونه لم يستطع أحد أن يأتي بمثله»[2] وبذلك أمسى كل كتاب في النحو من بعده عالة عليه، «وكان المديني يقول: من أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي»[3].

وأنشد في ذات المعني الزمخشري أبيات:

---

(١) مراتب النحويين: ص٤٢

(٢) مقال سيبويه والكتاب: د. الشريف ولد أحمد محمود، مجلة منار الإسلام الإماراتية، ع٤٦٢، يونيو٢٠١٣، ص٧٣

(٣) إنباه الرواة بأنباء النحاة: ٢/ ٣٥٠

ألا صلّى الإله صلاة صدقٍ   على عمرو بن عثمان بن قنبرْ

فإن كتابه لم يُغــنِ عنـــه   بنــو قَلَمٍ ولا أبنـــاء مِنبــرْ[1].

ولم يجد الجاحظ شيئا أشرف من كتاب سيبويه يهديه إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فقد روى المروزي عن الجاحظ أنه قال: «أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات ففكرت في شيء أهديه إليه فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي إليك شيئا ففكرت فإذا كل شيء عندك دونه، فلم أر أشرف من كتاب سيبويه، وهذا كتاب سيبويه اشتريته من ميراث الفراء، فقال: والله ما أهديت إليّ شيئا أحب إليّ منه»[2].

وكان محمد بن يزيد المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر؛ تعظيماً له واستصعابًا لما فيه[3]، وقد طفقت شهرة كتاب سيبويه في النحو الآفاق، حتى لقبه بقرآن النحو[4]، فكان

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢/ ٢٣٠

(٢) إنباه الرواة: ٢/ ٣٥١

(٣) أخبار النحويين البصريين: السيرافي، تحقيق: محمد طه، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الحلبي، ط ١٣٧٣هـ - ١٩٦٦م، ص٤٠

(٤) طبقات النحويين: ص٦٥

يقال بالبصرة قرأ فلان الكتاب فيُعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب فلا يشك أن كتاب سيبويه، «كأن كتاب سيبويه في النحو كان هو وحده الحقيق في رأيهم أن يسمى بالكتاب، أما غيره فلا ينبغي أن يسمى به، إلا على ضرب من التجوز أو المجاملة»[1].

ويستحق كتاب سيبويه هذه المكانة عن جدارة فهو عمدة في بابه، وهو أقدم المراجع في النحو العربي التي وصلت إلينا، وهو بمثابة «موسوعة نحوية فريدة جمعت حصيلة جهود النحاة خلال قرن من الزمن من أبي الأسود الدؤلي إلى الخليل»[2]، مما أهله إلى أن يبلغ شأوًا بعيدًا وشأنا عظيما، فلم يحظ كتابا باهتمام العلماء والدارسين قديما وحديثا كما حظي كتاب سيبويه، وقد تبارى العلماء في شرحه وبسطه، أو اختصاره واستخراج شواهده، أو كتاب الحواشي والتعليقات له.

اتخذ سيبويه من قنطرة اللغة العربية معبرًا للهوية العربية الإسلامية، فعاش بها ولها حتى استولت على كيانه ووجدانه، وخير

---

(١) سيبويه إمام النحاة: ص ١٢٩

(٢) مقال سيبويه والكتاب: ص٧٣

شاهد ما ترويه المصادر بأنه وافته المنية كمدا جراء مسألة من مسائل اللغة التي ناظر فيها، فعزّ عليه أن تُبخس حقها، أو يُبخس هو حقه، وهي المعروفة بالمسألة الزنبورية، وهي أي التركيبين أصح وأفصح:

كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور ، فإذا هو هي أو فإذا هو إياها؟

وقد انتهت المسألة بإخفاق سيبوية أمام الكسائي كما يذكر الرواة، «ومبلغ الظن أن الكوفيين افتعلوه، إذ لم يكن إخفاقا علميا، وإنما هو إخفاق مظاهرة علمية ليس لها وجه من الحق، أو لها وجه من الحق كوفي يخالف وجه الحق البصري»[1] ومما يعزز هذا الرأي أن الوزير خالد البرمكي أجاز سيبويه بعشرة آلاف درهم، سواء أكان من تلقاء نفسه أم بإيعاز من الكسائي.

كما يذكر الرواة أن سيبوية مات غما وهمًّا بعد هذه المناظرة العلمية والمنافسة اللغوية، «وربما كان الذي طوع ذلك لهم أنه في المشهور من أخباره لم يعمر بعد المناظرة طويلا، على أنه لا يبعد أن يكون الهم علة

---

(١) مقدمة كتاب سيبويه: ص١٨

وفاته، فالهم – لا شك – داء خطير، وفتكه بالأصحاء معلوم، وقد أصاب سيبويه منه كثير»[1].

هكذا قضى سيبويه الفارسي نحبه بعد أن قدم أجل الخدمات للسان العربي وأهله، وكان من أبنائها المخلصين الذين تشربوا بها حبا وإجلالا لدين الله، وهكذا قيض الله تعالى – بفضل الإسلام – فرسان للعربية لم يكونوا من جنس العرب نسبا ودما، وإن كانوا من جنس العربية لسانا وعملا، حتى صار منهم علماء رواد وأعلام أفذاذ، أمثال: سيبويه الفارسي الأصل، وعثمان بن جني الرومي الأصل صاحب الخصائص من أعظم كتب فقه اللغة، والفيروزابادي هندي الأصل صاحب القاموس المحيط من أفضل المعاجم اللغوية في العربية، وغيرهم كُثر لا يحصَون عددا.

انصهر الجميع في الهوية العربية الإسلامية يشمرون السواعد لخدمة دين الله تعالى، ولغة قرآنه الكريم، هجروا العصبية القبلية وتقنعوا الحمية الدينية، وجمعتهم عقيدة واحدة ولسانا واحدا، فكان رباطا وثيقا،

(١) سيبويه إمام النحاة: ص ١١٨

وهوية قوية، وفكر واع، ما أحوجنا إليه اليوم، لجمع الشمل وتوحيد الصف ورأب الصدع تحت راية اللغة والعقيدة.

إسهامات المنصفين من المستشرقين في خدمة اللغة العربية:

منذ نشأ الاستشراق وهو يلعب دورا خطيرا في الثقافة العربية والإسلامية، نظرا لما قدمه - ويقدمه — من جهود بحثية ودراسات علمية، وسواء اتفقنا أم اختلفنا مع الاستشراق وأغراضه الذي إلا إنه لا يمكن إنكار هذا الدور خطير الشأن الذي يمارسه الاستشراق في توجيه الدراسات العربية والإسلامية على مختلف الأصعدة وشتى المجالات، سواء أكان هذا التوجيه إيجابيا أم سلبيا، فالاستشراق في مفهومه الاصطلاحي «يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام»[1]، أو هو «اهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم»[2].

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف بمصر، ص ١٨

(٢) الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره: محمد فاروق النبهان، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ص ١٢

وقبل الحديث عن الجانب المشرق من الاستشراق، والإشارة إلى إسهامات بعض المنصفين منهم، والذي جاء حتما بعد إتقانهم اللغة العربية وتعلمها، يجدر بنا أن نؤكد على أمرين في غاية الأهمية:

أولهما: أن أهداف الاستشراق وأغراضه في الأصل تخدم الحضارة الغربية والمنتسبين إليها، فاهتمام الغرب باستكشاف الشرق والعالم العربي ودراسة علومها لم يكن إلا لتحقيق مصالحه الشخصية، والتي تنوعت أشكالها وصورها بين مطامع استعمارية، وحملات تبشيرية، ومصالح اقتصادية، وقلما كانت الأغراض العلمية البحتة دافعا للدراسات الاستشراقية، «وإن مواقف الاعتدال والإنصاف التي التزم بها بعض المستشرقين، لا تنفي عن الاستشراق مهمته الكبرى في طمس الهوية الإسلامية، وفي التقليل من أهمية تراثنا وحضارتنا»[1].

ثانيهما: أن من باب الإنصاف الذي أمرنا به الله تعالى أن نعطي كل ذي حق حقه، ونقول لمن أحسن أحسنت، وإن اختلفنا معه فكرا ومنهجا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِّ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ

---

(١) الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره: ص ٦٨

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨]

فليس من الإنصاف أن نجحف ما قدمه الاستشراق من خدمات جليلة للغة العربية وأبنائها لما يحمله في صدره من أغراض غير شريفة، أو أهداف غير نبيله للعالم العربي والشعوب الإسلامية.

كما إنه – من باب أولى – أن نشجع المنصفين منهم وأصحاب التوجيهات العلمية الموضوعية الذين أسهموا في تفنيد آراء المتعصبين من المستشرقين من أبناء جلدتهم، «فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة إلى المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته»[١].

وهذه أسمى ثمرة وأجل غاية يمكن أن يحققها تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من غير المسلمين، وهي الهداية إلى الإسلام، وصراط الله المستقيم، فقد اعتنق كثير من المستشرقين المنصفين الإسلام بعدما اطلعوا على مصادره الأصيلة، دون تحريف أو تصحيف.

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر، الرياض، ص ٢٥

ومن هؤلاء الذين حذقوا اللغة العربية وآدابها واطلعوا على العلوم الإسلامية وأسلموا المستشرق الفرنسي إتين دينيه Étienne Dinet[1] وهو من كبار الرسامين والفنانين، له لوحات فنية محفوظة في المتاحف الفرنسية وغيرها، كان يمضى نصف العام سنويا في بلدة بوسعادة بالجزائر، أعلن سنة ١٩٢٧ اعتناقه الإسلام، وأشهد جمهورا من علماء الجزائر بحضور مفتيها ووزير العدل في المملكة التونسية أنه اختار الإسلام دينا قبل عشرات السنين ولم يجهر به إلا في ذلك اليوم، وسمى نفسه ناصر الدين، وقام بتجهز قبرا لنفسه في بوسعاد وأوصى أن يدفن فيه.

وقد أحدث إسلامه ضجة في الأوساط الفنية في فرنسا واتهم بالخيانة، إلا إنه صمد أمام هذه الاتهامات بقوة وجلد، وألف عدة كتب بالفرنسية، منها: كتاب محمد Mohamet ساعده في تأليفه الفاضل الجزائري سليمان بن إبراهيم، وطبع بالفرنسية والانجليزية، محلى بصورة ملونة بديعة من ريشة ناصر الدين. ومن كتبه بالفرنسية حياة العرب،

---

(١) الأعلام للزركلي: ١ / ٧٧.

وحياة الصحراء، وأشعة من نور الإسلام، والشرق في نظر الغرب، توفي في باريس في ١٩٢٩ ونقل جثمانه إلى بوسعادة بالجزائر بناء على وصيته.

هذا مجرد مثال من أمثلة لا تعد ولا تحصى ممن اهتدوا إلى الإسلام بعدما اطلعوا على تعاليمه السامية ورسالته العالمية، والذين ترسخت عندهم الهوية العربية الإسلامية بعدما ذاقوا حلاوة الإيمان، ويستلزم هذا منا بذل مزيدا من الجهود لتعليم اللغة العربية لغير المسلمين لأداء الرسالة إليهم، وإقامة الحجة عليهم، ولإعذار أنفسنا.

كما أن إهمال تعليم غير المسلمين اللغة العربية يجعلهم يتعاملون مع المصادر التي وضعها المستشرقون وما فيه من تحريفات مغرضة على أنها أصول علمية موثوق فيها، «فلا يجد طلاب الدراسات الإسلامية أمامهم مراجع لدراستهم التي يناولون بها الدكتوراه غير تلك المراجع المسمومة، وهم لا يعرفون اللغة العربية، فتتقرر عندهم أن تلك الدسائس حقائق مأخوذة من كتب الفقهاء والعلماء المسلمين أنفسهم»[١].

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: ص٢٥

وهناك نماذج طيبة لهؤلاء المستشرقين المنصفين الذين تعلموا اللغة العربية ودرسوا الحضارة الإسلامية فأنصفوا العربية وحضارتها، وإن لم يعتنقوا الإسلام، إلا اتصافهم بالأمانة والنزاهة العلمية وتجردهم من الأهواء الشخصية، والعصبية الدينية جعلهم يقرون بما انتهوا إليه بأنفسهم في دراساتهم وأبحاثهم من خلال البحث العلمي الموضوعي من نتائج وحقائق علمية تشيد بفضل الإسلام وحضارة العرب في التاريخ الإنساني، من هؤلاء السير توماس آرنولد Thomas Walker Arnold الذي «كان معجبا بالإسلام متضلعا من علومه، منصفا له في أبحاثه عنه، فلم تعد عليه هفوة واحدة على ما كتبه عنه في دائرة المعارف الإسلامية، وحقق من المصنفات فيه، وهو مقترح وضع مصنفٍ في تراثه ومرس أسسه، فعد مرجعا في الدراسات الإسلامية»[1].

وتوماس أرنولد مستشرق بريطاني شهير، ولد في إنجلترا عام ١٨٦٤ وتوفي في ١٩٣٠، التحق بكلية المجدلية في جامعة كمبردج عام ١٨٨٢، وحاز اهتمامه الدراسات الشرقية، كما كرس السنة الرابعة في كمبردج لدراسة تاريخ الإسلام، «ونظرا لاهتمامه بالدراسات

(١) المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، ٢ / ٨٤.

الإسلامية فقد اختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية في المقاطعات المتحدة بشمالي الهند، وأمضى في كلية عليكرة عشر سنوات (١٨٨٨ – ١٨٩٨) وهي فترة كانت ذات تأثير بالغ في تشكيل نظرات توماس آرنولد للإسلام»[1].

فقد كانت كلية عليكرة تهدف إلى الإصلاح والتجديد، فقد أسسها سيد أحمد خان بهدف إصلاح مناهج التعليم الإسلامية عن طريق الجمع بين الثقافة الإسلامية والفكر العلمي المنهجي في أروبا، والتوفيق من الأصالة والحداثة، وقد شارك آرنولد بحماسة شديدة في هذه التجربة الإصلاحية، والتجديد المنهجي للتوفيق بين الإسلام والعلوم الحديثة، وأسس لهذا الغرض جمعية الواجب داخل الحرم الجامعي لعليكرة، وراح يكون تلاميذ من الإنجليز والهنود مشبعين بهذا الاتجاه، وعين في سنة ١٨٩٨ عين أستاذا للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهو، «وكان من أبرز من تتلمذوا عليه في هذه الكلية الشاعر

---

(١) موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣، ص ٩ .

العظيم محمد إقبال اللاهور صاحب فكرة إنشاء دولة مستقلة للمسلمين الهنود باسم باكستان»[1].

ولما تأسست مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن في ١٩١٧ دعي للتدريس فيها، وكان أول من شغل كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية، وما لبث أن اختير عميدا لمدرسة اللغات الشرقية، وفي أواخر حياته دعي لتدريس التاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية.

ومن أشهر أعماله كتاب الدعوة إلى الإسلام الذي لقي إقبالا ورواجا عظيما فترجم إلى عدة لغات، ومن كتبه أيضا الإنجليزية: «تعاليم الإسلام، والمعتزلة، والخلافة، وقد تُرجم الأخير إلى العربية وطبع، وله كتب بالإنجليزية أيضا في الفن والرسم الإسلاميين، ساعده فيها لوي بنيون من رسامي الفنون الشرقية. قال آربري: كان آرنولد مرجعا في الشئون الإسلامية»[2].

هذا واحد من عدد – غير قليل – من المستشرقين المنصفين الذين تناولوا الحضارة العربية الإسلامية باعتبارها حلقة من حلقات الحضارة

---

(١) الصفحة نفسها.

(٢) الأعلام للزركلي: ٢ / ٩٤ .

الإنسانية، وتستحق كتاباتهم الموضوعية الإشادة والثناء، لأنهم لم ينجرفوا وراء غواية التعصب الديني الذميم، التي تدفع معظم المستشرقين للنيل من الحضارة العربية ومكوناتها، التي تجعلهم يعملون على لي الحقائق وتحريف المصادر والروايات للنيل من الإسلام، لذا «أكثر ما نجد إنصاف الإسلام ورسوله عند العلماء والأدباء الغربيين الذين تحللوا من سطلة ديانتهم، ونضرب لذلك مثلا بكتاب حضارة العرب لمؤلفه جوستاف لوبون فإنه أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الإسلام وحضارته»[1].

لهذ فإن الدور المنوط بنا أن نعمل على استثمار الجانب الإيجابي من الاستشراق وتنميته، وفي ذات الوقت نعمل على محاصرة الجانب السلبي وفضحه بكل السبل، فيتم مد جسور التعاون مع المنصفين من المستشرقين للرد على غلاتهم بنفس منهجهم وبذات أدواتهم، وقد كان هناك دور عظيم للمخلصين من الباحثين العرب والمسلمين الذين درسوا في الغرب وعلى أيدي المستشرقين أنفسهم في الرد عليهم، وتصدى لهم بنفس منهجم العلمي وأسلوبهم الفكري، كاشفا النقاب

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: ص٧٩

عما أخفوه من أغراض مشبوهة، وما أثاروه من شبهات، مما دفع عدد من المستشرقين المعاصرين إلى الاعتراف «بخطأ المنهج الاستشراقي الأول في عرض آراءه ووضوح تعصبه، وأدان ذلك المنهج وأوضح أخطاءه»[1].

ويمكنا أن نبرز أهم الآثار الإيجابية التي قام بها المستشرقون تجاه اللغة العربية والهوية الإسلامية حتى نتمكن من العمل على الاستفادة منها وتوظيفها على الوجه الأمثل، مع تحفظنا الكامل عن دوافعهم وأغراضهم المشبوهة، وأهم هذه الآثار الإيجابية هي:

١. الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي وتحقيق المخطوطات وأمهات الكتب.
٢. إصدار المعاجم والموسوعات المتخصصة في العلوم الإسلامية والعربية.
٣. تشجيع حركة البحث العلمي والنقد الموضوعي، وتطوير المناهج في الدرسات العربية والإسلامية.
٤. تعريف العالم الغربي بالحضارة العربية والثقافة الإسلامية، وترجمة الكثير من الأعمال الأدبية والفكرية والعلمية، التي

(١) الاستشراق تعريفه، مدارسه، أثاره: ص٦٧

كان لها أثر بارز في الحضارة الغربية المعاصرة، والثقافة العالمية.

مقترح برنامج لتوظيف تعليم اللغة العربية في ترسيخ الهوية:

بعدما استعرضنا دور المسلمين من غير أبناء الجنس العربي، وكذلك دور المنصفين من المستشرقين، فإنه من باب الواجب على كل غيور على هوية الأمة وما تواجهه من تحديات، ومخاطر تحدق بها أن يستنفر كل طاقته، وأن يبذل ما في وسعه من جهد لنشر هذه اللغة القرآنية تعليما وتعلما، ونقترح لهذا برنامجا عمليا يتكون من المحاور التالية:

المحور الأول: المناهج التعليمية:

وهو ضرورة الاهتمام بوضع مناهج علمية وتربوية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فإن كانت هناك جهود طيبة ومناهج متميزة قد صدرت مثل: منهج العربية بين يديك، والكتاب الأساسي الصادر عن المنظمة العربية للعلوم والتربية والثقافة، إلا إنها تظل جهودا محدودة مقابل المساحة الشاسعة لغير الناطقين والإقبال المنقطع النظير من الجنسيات المختلفة والشرائح المتنوعة، مما يحتم وضع مناهج تتسق مع خصوصية كل جنسية وكل شريحة عمرية.

وحبذا لو قامت كل جامعة في العالم بوضع منهج علمي وتربوي خاص بها، حتى يتحقق التنوع المرجو، ويضمن توفر كمّا من المناهج العلمية، ويكفل – أيضا – التميز كيفا.

كما أن في هذا المحور لا بد من مواكبة تكنولوجيا العصر، وإعداد وسائل تعليمية حديثة، مثل برامج الحاسوب، ومواقع الانترنت، فهذه الوسائل فاعلة في الإقبال على تعلم اللغة العربية، ومجدية في تعليمها.

ومن المؤسف حقا أن نجد كمّا لا يعد ولا يحصى من مواقع تعليم اللغات الأجنبية المجانية وغير المجانية على الشبكة العنكبوتية، ولا نجد إلا بعض المواقع التي تعلم اللغة العربية على استحياء، كما لا نجد – أيضا – الاسطوانات التعليمية للغة العربية لغير الناطقين إلا فيما قل أو ندر، وهذا ما يدعونا إلى الاهتمام بهذه الجانب وتدشين مواقع بلغات عالمية لتعليم اللغة العربية، وإصدار مواد تعليمية حديثة بهذه اللغات.

المحور الثاني: إعداد المعلمين الأكفاء:

في ظل الإقبال المتزايد على اللغة العربية لا بد من سد فجوة المعلمين المؤهلين لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين، لذا نقترح إنشاء أقسام وتخصصات في كليات التربية والآداب لإعداد معلمي اللغة

العربية لغير الناطقين بها وتأهيلهم باستخدام طرق التدريس المناسبة التي تساعد في إكساب مهارات اللغة العربية لدارسيها من الأجانب.

كما لا بد من التوسع في الدراسات العليا وإنشاء دبلوم لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لتأهيل الحاصلين بالفعل على مؤهلات دراسية في تخصص اللغة العربية من الكليات والأقسام المختلفة، بذلك نضمن توفير الكادر العلمي المؤهل الذي يقوم بأداء رسالته على الوجه الأكمل.

المحور الثالث: الدارسين:

وهو الجانب المستهدف من هذه العملية كلها، لذا لا بد من استقطاب النوابغ منهم وتقديم منح دراسية لهم في الجامعات العربية والإسلامية، وتشجيعهم على دراسة اللغة العربية لكي يتشبعوا من ثقافتنا الإسلامية، ويتعرفوا على الحضارة العربية وشعوبها عن كسب.

وفي ذات السياق لا بد من إنشاء المراكز التي تهتم بتدريس اللغة العربية وعلومها في بلادهم الأصلية لمن لا يستطيع السفر والاغتراب، وإيفاد المؤهلين من المعلمين والمتخصصين.

هذه أهم المحاور التي يجب أن نسعى إلى استهدافها وتحقيقها حتى نستطيع أن نرسخ الهوية العربية من خلال تعليمها فإن الإنسان بطبعه ينتمي إلى ما يتقن ويحسن وقد قال الإمام علي قيمة المرء ما يحسن، وهو ما وجدناه من دفاع المنصفين من المستشرقين عن العربية، مع أنهم غير مسلمين إلا إنهم ينتمون فكرا للثقافة العربية والحضارة الإسلامية.

الخاتمة:

من أهم ما توصلنا إليه من نتائج هو العلاقة الوثيقة بين اللغة والهوية، فهما بمثابة الوجهين للعملة الواحدة، وإن للغة دورا محوريا في توجيه بوصلة التفكير وتكوين الشخصية عند الإنسان، ومن ثم نجد كثيرا من أصحاب الفطرة السليمة والذين تحلوا بالنزاهة العلمية وتخلوا عن العصبية والأهواء الشخصية إما اعتنقوا الإسلام، وإما دافعوا عنه وأنصفوه حقه.

وإن دل فيدل على ضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية لذا جاء المقترح السالف الذكر، والذي نوصي بالآتي حتى يتم إنجازه وما كان على شاكلته في أسرع وقت وعلى أكمل وجه:

١. تشجيع الاستثمار في تعليم اللغة العربية ودعوة المهتمين بالتعليم الخاص بإنشاء معاهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ودعوة دور النشر الالكتروني والورقي إلى إصدار المطبوعات ووسائل التعليم الحديثة، وتسويقها في دول العالم المختلفة.

٢. إنشاء جمعيات ومؤسسات غير ربحية تتخصص في إعداد المناهج العلمية والوسائل التعليمية وإنشاء المواقع الالكترونية، وتقديم المنح الدراسية والجوائز العلمية للدارسين والباحثين ودعم المعاهد التعليمية المتخصصة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٣. تدشين هيئة عالمية لاعتماد المناهج العلمية والمعاهد التعليمية لضبط مسار تعليم اللغة العربية، ووضع معايير دولية لمستويات تعليم وتعلم اللغة العربية، ومتابعة المراكز والمعاهد الخاصة واعتمادها، مما يكفل تحقيق الجودة.

ولقد اكتفيت بهذه التوصيات التي لم تتناول الدور المنوط بالحكومات أو المؤسسات الرسمية غير الأكاديمية والتعليمية، لإمكانية إنجازها وتحقيقها على أرض الواقع بعيدا عن التعنت في القرار السياسي،

والتجاهل غير المبرر من المؤسسات الرسمية، فلو توحدت جهود المخلصين من الغيورين على اللغة العربية لسدوا ثغرة من ثغور الأمة، ولأدوا فريضة واجبة على كل مسلم، ولكانوا حائط صد لكل عمليات طمس الهوية العربية ومسخ الشخصية الإسلامية.

المراجع

١. أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي) : مراتب النحويين: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ، (دون ط . ت)

٢. أبو القاسم الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق) : مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٣. أبو بكر الزبيدي (محمد بن الحسن) : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية .

٤. أبو منصور الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) : فقه اللغة وسر العربية: تحقيق: عبد الرازق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م .

٥. أحمد درويش: إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية تطوير اللغة العربية ، نهضة مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م .

٦. أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن ، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢ ه، ١٩٨٢م .

٧. تقي الدين ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم عقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٨. الجاحظ (عمرو بن بحر) : البيان والتبين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م.

٩. - : الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٥ م .

١٠. جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال) : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.

١١. جمال الدين القفطي (على بن يوسف) : إنباه الرواة بأنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٦م

١٢. جوديث جرين: التفكير واللغة ، ترجمة د. عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ م .

١٣. خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م .

١٤. السيد رزق الطويل: اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة: سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد ٦٠، ربيع الأول ١٤٠٧ هـ، نوفمبر ١٩٨٦ م.
١٥. السيرافي (الحسن بن عبد الله) : أخبار النحويين البصريين، تحقيق: محمد طه، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الحلبي، ١٣٧٣هـ – ١٩٦٦ م.
١٦. الشريف ولد أحمد محمود: مجلة منار الإسلام الإماراتية، ع٤٦٢، يونيو٢٠١٣، مقال سيبويه والكتاب.
١٧. عباس الخفاجي: بحث الأبعاد الاقتصادية للعولمة - الإسلام في عصر العولمة – المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، القاهرة، مايو ١٩٩٩.
١٨. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.
١٩. على النجدي ناصف: سيبويه إمام النحاة ، عالم الكتب، الطبعة الثانية .
٢٠. الفيروزابادي (محمد بن يعقوب) : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.

٢١. فيصل الحفيان: مجلة التسامح العمانية، شتاء ٢٠٠٤، ع ٥، اللغة الهوية: إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقة.

٢٢. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مادة لغة، الموقع الالكتروني للموسوعة: http://elazhar.com/mafaheemux/24/4.asp

٢٣. محمد الغزالي : ظلام الغرب، نهضة مصر، الطبعة الأولى، ص٥٦ .

٢٤. محمد فاروق النبهان: الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢ م .

٢٥. محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مطابع دار الأخبار، عشرون جزء، (دون ط . ت)

٢٦. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف بمصر، (دون ط. ت)

٢٧. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي، الرياض، (دون ط. ت)

٢٨. مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم ، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة ٢٠٠٢.

٢٩. مها حسن يوسف القصراوي: واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في الهوية، بحث مقدم لكلية التربية والتعليم العام، جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، الإمارات العربية، ٢٠١٢ م .
٣٠. نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع ٢٦٥ يناير ٢٠٠١ م .
٣١. نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.
٣٢. هاني إسماعيل: مقال اللغة حياة أمة، جريدة الحرية والعدالة، ع ٥٥٠ بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠١٣ م.



الفصل الثالث

جهود العلماء القدامى

في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها



المقدمة

منذ أن نزل القرآن الكريم واللغة العربية قد اكتسبت قدسيتها أولا وضمنت حفظها ثانيا، إذ حملت بألفاظها وضمت بمعانيها كلام رب العالمين الذي نزل بها الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥] فحفظها الله تعالى بحفظه لكتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩].

ولم يكتفِ أثر القرآن الكريم في إضفاء القدسية على اللغة العربية وحفظ لسانها فحسب، بل كان مفجرا لعلوم العربية قاطبة، تدور في فلكه تبيانا

لأحكامه، وضبطا لألفاظه، «وقد كان القرآن الكريم صاحب الفضل في نشأة الدراسات اللغوية في التراث الإسلامي، فالقرآن نص لغوي اقتضت العناية به الخوض في دراسات لغوية وأدبية تطورت بمرور الزمن إلى ما نراها عليه الآن»[1].

دوافع تعلم اللغة العربية:

ومع دخول الأمم في الإسلام أفواجا، ومع انتشار الفتوحات الإسلامية، زادت الرغبة في فهم القرآن الكريم وتعاليم الإسلام الحنيف، مما كان له دور بارز في إقبال الناس على تعلم اللغة العربية، حتى يقوموا بالشعائر والعبادات على الوجه الصحيح الذي تقضيه الشريعة، يدفعهم إلى هذا السعي إلى إقامة دين الله ونوال مرضاته.

وهو ما عبر عنه أبو منصور الثعالبي قائلا: «من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا ﷺ ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عُني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدًا ﷺ خيرَ الرسل،

---

(١) مقدمة في علوم اللغة : د. البدراوي زهران، دار المعارف، ط ٧، ١٩٩٩، ص١٦

والإسلامَ خيرَ الملل، والعربَ خيرَ الأمم، والعربيةَ خيرَ اللغات والألسنة، والإقبالَ على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد»[1].

ورغم ذلك فإنه لم تكن الرغبة الدينية هي الحافز الوحيد أو الدافع الفريد لتعلم اللغة العربية، وإن كانت سبب رئيسي، إلا أن الدوافع الدنيوية كان لها عظيم الأثر أيضا في الإقبال على اللغة العربية تعلّما وتعليما، فلما كانت العرب أمة فاتحة ولها السيادة والعزة على سائر الأمم المغلوبة؛ كانت لغتهم العربية ذات شأن وعلو يطمح إليها جمهور الناس؛ ليتصلوا بالخلفاء والأمراء، وقد رأوا «هؤلاء الخلفاء وعمالهم يجزلون العطاء لمن يجود شعرا أو نثرا، ويقربونهم إليهم ويولونهم مناصب في الدولة، كل ذلك له أثر أي أثر في إقبال الناس على اللغة، حتى إن الرجل ليدفع بابنه إلى تعلمها رجاء أن يجني ثمرة أو يحرز جاها»[2]، و قال ابن شُبْرُمه «إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت بعينه صغيراً ويصغر في عينك من كان في عينك عظيماً فتعلم العربية فإنها تجريك على المنطق وتدنيك من السلطان»[3].

---

(١) فقه اللغة وسر العربية: تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ص٢١

(٢) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: أحمد حسن الباقوري، دار المعارف، ط الرابعة، ص٤٦

(٣) عيون الأخبار: ابن قتيبة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، ١٧/ ٢

ولقد اعتنى علماؤنا القدامى منذ اللحظات الأولى بضرورة تعليم اللغة العربية إلى غير الناطقين بها من المسلمين الجدد، أو من المستعربين الجدد، وعدوا ذلك من تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وفرائض الدين، وهو ما صرح به ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم حين قال: «فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[1].

ومن عناية الصحابة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ما صرح به أبو عثمان النهدي: «بأن كتاب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أتاهم وهم بأذربيجان يأمرهم بأشياء، وذكر فيه: تعلموا العربية»[2].

كما جاء عن عمر بن زيد: أن عمر بن الخطاب ـ أيضا ـ كتب إلى أبي موسى رضي الله عنه: «أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في اللغة وأعربوا القرآن، فإنه عربي، وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم»[3].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم:١ / ٤٦٩

(٢) طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص١٢.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٤٧٠

جهود العلماء على المستوى النحوي:

وقد انبرى علماء الأمة في تعليم اللغة العربية وتيسيرها لغير الناطقين بها، ومن هذه الجهود العظيمة التي أخذوا بها على عاتقهم ما قام به أبو الأسود الدؤلي من وضعٍ للنحو العربي حتى يستقيم به لسان الأعاجم الراغبين في تعلم اللغة العربية وإتقانها.

فعن «ابن أبي سعد قال: حدثنا علي بن محمد الهاشيمي قال: سمعت أبي يذكر، قال: كان بدء ما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو أنه مر به سعد ـ وكان رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله وهو يقود فرسه، فقال: مالك يا سعد؟ ألا تركب؟ فقال: فرسي ضالع، فضحك من حضره.

قال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، وصاروا لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام! فوضع باب الفاعل والمفعول، لم يزد عليه.

قال أبي: فزاد في ذلك الكتاب رجل من بني ليث أبوابا، ثم نظر فإذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه، فلما كان عيسى بن عمر قال: أرى أن أضع الكتاب على الأكثر، وأسمى الأخرى لغات، فهو أول من بلغ غايته في كتاب النحو»[1].

---

(١) طبقات النحويين واللغويين: مصدر سابق، ص ٢٢

ولم يقتصر دور العلماء على وضع علم النحو فحسب، بل سعوا إلى تيسير دراسته وتبسيط تحصيله، فكان لهم في هذا المضمار دور مشهود وسبق معلوم، وعلى رأس هؤلاء العلماء عبد القاهر الجرجاني الذي قدم مجموعة مؤلفات في النحو العربي «رغبة في أن يقدم للراغبين في تعلم العربية من أبناء اللغات الأخرى النحو العربي في صورة سهلة، تيسر عليهم تعلم القرآن الكريم وتفهم معانيه»[1] وذلك لأنه يعلم أن تيسير قواعد اللغة (النحو) هو أيسر سبيل لتعليمها لأبناء اللغات الأخرى.

جهود العلماء على المستوى الصوتي:

وإن اهتم علماؤنا بتعليم النحو وتيسيره فإنهم لم يغفلوا الجانب الصوتي، حيث اهتموا بمخارج الحروف، بعدما انتشرت العجمة على الألسن بسبب اختلاف العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى، قال الزبيدي:

«ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من إسلامها ، تبرع في نطقها بالسجية، وتتكلم على السليقة، حتى فتحت المدائن، ومصّرت الأمصار، ودونت الدواوين، فاختلط العربي بالنبطي والتقى الحجازي بالفارسي، ودخل

---

(١) البدراوي زهران : مقدمة تحقيقه لكتاب العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية لعبد القاهر الجرجاني: تحقيق د. ، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦، ص٤

الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان، فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن في ألسنة العوام»(1).

ومن أمثلة هذا الخلل الصوتي ما روت كتب الأدب واللغة أن مولى زياد قال لزياد: أهدوا لنا هُمار وهشٍ (يعني حمار وحش)، فقال زياد: ما تقول؟ ويلك! فقال: أهدوا لنا أيرا (يعني عيرا)، فقال زياد: الأول خير(2).

وكذلك ما روي عن زياد بن سلمى أبو أمامة وهو زياد الأعجم ومن أمثلة لكنته ما أنشده أبو عبيدة من قوله:

فتى زاده السلطان في الود رفعةً إذا غيّر السلطان كلّ خليل

قال: فكان يجعل السين شيناً والطاء تاء فيقول (فتى زاده الشّلتان)(3).

فتصدى العلماء لهذه الظاهرة الفاشية بأن تناولوا مخارج الخروف وصفاتها بالشرح العميق والوصف الدقيق، وكان لهم السبق في هذا المضمار، ومما قاله الخليل بن أحمد صاحب أول معجم عربي إن «أقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا

---

(1) لحن العامة: الزبيدي، تحقيق د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، ١٩٨١، ص ٣٤.

(2) البيان والتبين، الجاحظ، ص ١٦١ / ١

(3) السابق: ٧٣/ ١

هتّة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض»[1].

ويُعد كتاب «أسباب حدوث الحروف» لابن سينا مصدرا مهما في هذا الباب؛ إذ تناول مخارج الحروف والأصوات وصفاتها؛ شارحا مكونات الحنجرة واللسان، واصفا العملية العضوية للأصوات والحروف، كما خصص فصلا للحروف الشبيهة بالحروف العربية في اللغات الأخرى فقال:

«وها هنا حروف غير هذه الحروف [العربية] تحدث بين حرفين فيما يجانس كل واحد منهما بشركه في سببه، فمن ذلك الكاف الخفيفة التي ذكرناها، وحروف تشبه الجيم وهي أربعة: منها الحرف الذي ينطق به في أول اسم البئر بالفارسية، وهو «چاه» وهذه الجيم يفعلها إطباق من طرف اللسان أكثر وأشد وضغط عند القلع أقوى، ونسبة الجيم العربية إلى هذه الجيم هي نسبة الكاف الغير العربية على الكاف العربية، ومنها حروف ثلاثة لا توجد في العربية والفارسية، ولكن توجد في لغات أخري»[2].

---

(١) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١ / ٤٧

(٢) رسالة أسباب حدوث الحروف: لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان، ويحيي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٨٦ – ٨٧

كما ذكر فاء تكاد تشبه الباء، وتقع في لغة الفرس عند قولهم: «**ڤـزوني**» وتفارق الباء بأنه ليس فيها حبس تام، وتفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر، وضغط الهواء أشد، حتى يكاد يحدث منه في السطح الذي في باطن الشفة اهتزاز، فقال «ومن ذلك الباء المشددة الواقعة في لغة الفرس عند قولهم: «**پـيروزي**» وتحدث بشد قوي للشفتين عند الحبس وقلع بعنف، وضغط للهواء بعنف»[1].

جهود العلماء على مستوى الرسم الإملائي:

ومن الوسائل العملية التي استخدمها علماء الإسلام لتعليم اللغة العربية لغير أبنائها النقط والتشكيل، ويبدو أن الرائد في هذا الأمر أبو الأسود الدؤلي الذي قام بهذه المهمة بعدما قال زياد له: «إن هذه الحمراء [يقصد العجم] قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئا يُصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى»[2] فما كان من أبي الأسود إلا الإذعان بعدما سمع من يقرأ «أن الله بريء من المشركين ورسوله» بالجر بدلا من رفع رسوله، واختار كاتبا ماهرا وقال له:

---

(١) السابق: ص ٩١، ٩٢

(٢) المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو الداني، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية ١٩٩٧، ص٣

«خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتيّ فانقُط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره»[1].

ومن الملاحظ أن أبا الأسود الدؤلي استخدم النقط للدلالة على الحركات الإعرابية وليس للتمييز بين الحروف، حتى جاء تلميذه نصر بن عاصم ليزيل اللبس بين الحروف بوضع النقط على متشابهها، وذلك عندما أمر الخليفة الأموي عبدُ الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق أن يضع علاجًا لمشكلة تفشي العجمة، وكثرة التصحيف، فاختار كلا من نصر بن عاصم، ويحيى بن يَعْمَر لهذه المهمة؛ لأنهما أعرف أهل عصرهما بعلوم العربية وأسرارها، وفنون القراءات وتوجيهها[2].

وتروي لنا المصادر التراثية أن رجلا رومي إلي الحجاج وألقي عليه بعض الأبيات الشعرية بطريقة مضحكة لأنها لم تكن منقطة، ونقطها علي هواه فتغير المعني تماما، فغضب الحجاج وأمر بجلده، فتوسط لدي الحجاج العالم (نصر بن

---

(١) السابق: ص ٤

(٢) انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ص٢/ ٣٢.

عاصم) ليعفو عنه، فقبل الحجاج شفاعة نصر وطلب منه أن يجد طريقة كي يتلافى الناس خاصة الأعاجم الوقوع في الخطأ واللحن في اللغة، فكان أن وضع نصر النقاط فوق الحروف وتحتها على الصورة المتداولة حتى يومنا هذا.

وعندما اختلط الأمر بين نقط الإعراب الذي وضعه الدؤلي ونقط الإعجام الذي وضعه تلميذه نصر جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي فوضع أشكال الحركات المشهورة حتى الآن[1] فقد جعل الحركات حروفا صغيرة بدل النقط، وابتكر لكل حركة ما يناسبها في الشكل من الحروف ، فالفتحة ألف منبطحة فوق الحرف، والضمة واو صغيرة فوق الحرف، والكسرة ياء مردفة تحت الحرف، والهمزة رأس عين مقطوعة لقرب مخرجها منها، والشدة رأس شين اختصار لشديد، والسكون رأس خاء اختصار خفيف، وبهذه الطريقة أمكن أن يجمع بين كتابة الحروف وتمييزها بعضها من بعض، وضبطها بالشكل، بلون واحد.

طرق ووسائل التدريس:

تتميز اللغة العربية بتجربة فريدة من نوعها في انتشارها بين الشعوب غير الناطقة بها، وتحولها إلى لغة أولى لأبناء هذه الشعوب في زمنا قياسيا، وبالرغم من

---

(١) انظر إتقان علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، ص ٤٥٦/ ٢

ذلك فإنه ليس لدينا مصادر أو معلومات موثقة عن الطريقة التي اتبعها المسلمون الأوائل في تعليم هذه اللغة المقدسة في البلاد التي فتحوها؛ هل كانت عبر الانصهار والاختلاط المباشر بين العرب الفاتحين والمسلمين الجدد، أم كان عن طريق تعليم منظم من خلال مدارس أو كتاتيب أو حلقات العلم بالمساجد كما كان متبع في باقي العلوم بما فيها علوم اللغة.

وإن كانت هناك إشارات ـ مجرد إشارات ـ تشير إلى دور الاختلاط المباشر في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، يقول ابن خلدون[1] ـ وهو يؤكد على دور العجم في تصنيف النحو: «فكان صاحب صناعة النحو سيبويه و الفارسي من بعده و الزجاج من بعدهما و كلهم عجم في أنسابهم، و إنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى و مخالطة العرب، و صيروه قوانين و فنا لمن بعدهم».

ويقول في موضع آخر: «فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة صار مقصرا في اللغة العربية؛ لما قدمناه من أن الملكة إذا تقدمت في صناعة بمحل فقلّ أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى، و هو ظاهر، و إذا كال مقصرا في اللغة العربية و دلالاتها اللفظية والخطية اعتاص عليه فهم المعاني منها كما مر، إلا أن تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم حين انتقل منها إلى العربية، كأصاغر

(١) تاريخ ابن خلدون: تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨، ص٧٤٨

أبناء العجم الذين يربون مع العرب قبل أن تستحكم عجمتهم، فتكون اللغة العربية كأنها السابقة لهم، و لا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من العربية»[1].

فهو يؤكد في هذين النصين على أن المخالطة والتربية بين العرب هي التي أكسبت هؤلاء العجم اللسان العربي وساعدتهم على إتقانه، بيد أن هذا لا يمنع أن يكون هناك مجالس أو مدارس أو وسائل أخرى؛ لتعليم اللغة العربية لغير أبنائها.

ويذكر أبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني خبرًا عن عدي بن زيد العبادي وهو شاعر جاهلي معروف، قد تعلم الكتابة والكلام بالفارسية، فيقول: «فلما تحرك عدي بن زيد، وأيفع طرحه أبوه في الكُتاب، حتى إذا حذَقَ أرسله المَرْزُبان مع ابنه (شاهان مَرْدْ) إلى كُتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه، ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية، حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية، وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب»[2].

ففي هذا الخبر دلالة واضحة، وإشارة ساطعة على أن العرب كانوا يعرفون استخدام الكتاتيب لتعليم اللغات الأجنبية، وليس هناك ما يمنع من أن

---

(١) السابق: ص٧٥١

(٢) الأغاني لأبي الفرج لأصفهاني: تحقيق، سمير جابر، دار الفكر الطبعة الثانية، ص ٩٣/ ٢

يكون العرب قد استخدم نظام الكتاتيب في تعليم اللغة العربية لغير أبنائها، «ومهما يكن من نقص المعلومات الموثقة فإن الذي لا شك فيه أن العربية انتشرت هذا الانتشار في نوعه وفي سرعته، لأن الإسلام والعربية كانا شيئا واحدا ولم يكن أن يُتصور فصل أحدهما عن الآخر»[1].

(١) علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية: د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥، ص١١٥



الفصل الرابع

نحو سياسة لغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها



المقدمة

تعاني المكتبة العربية من نقص شديد في الدراسات التي تتناول السياسة اللغوية بشكل عام، والسياسة اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بصفة خاصة، مع أن اللغة العربية تشهد إقبالا غير مسبوق على تعلمها من جميع الجنسيات ومختلف الشعوب، يقف وراءه عوامل متنوعة وأسباب متباينة، يأتي على رأسها العامل الديني، بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية.

وهذا الأقبال يفرض على أبناء اللغة العربية العمل على تيسير تعليمها واكتسابها، وبذل جهودهم للارتقاء بها إلى المكانة التي تستحقها، فإن خدمة العربية أمانة في أعناق أبنائها بلا استثناء، ورسالة يجب أداؤها، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لأداء هذه الأمانة، ومحاولة للقيام ببعض الواجب المنوط بنا نحو العربية.

وفي الواقع فإن خدمة العربية لا بد أن تصدر من دراسات علمية وأبحاث أكاديمية؛ تؤسس لسياسة لغوية تعتمد على أسس علمية، وتخطيط لغوي يقوم على رؤية واقعية، فإن أحد الأسباب التي في ضعف النتائج من جهود المخلصين هي العشوائية في العمل والإنتاج، وانطلاقها من رؤية شخصية أو جهود فردية، فلو توحدت جهود المخلصين وقامت على سياسة لغوية واضحة المعالم، بارزة العناصر، لتضاعفت المخرجات والنتائج، فضلا عن توفير الوقت والجهد.

وهذه الإشكالية هي التي دفعت الباحث إلى اختيار موضوع البحث، فما هذه الدراسة إلا محاولة للمساهمة في رسم سياسة لغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين، لعلها تسد ثغرة من ثغرات المكتبة العربية في السياسة اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويأمل الباحث في أن تعالج الدراسة هذه الإشكالية فتقدم حلا عمليا علميا في آن، لذا فإن أهداف الدراسة تنحصر في هدفين رئيسين، هما:

- أن تصبح اللغة العربية لغة ثانية لدى الشعوب الإسلامية.
- تيسير تعلم اللغة العربية وتعلميها للدراسين حتي يصيروا ثنائي اللغة.

ولتحقيق هذين الهدفين اعتمد الباحث خطة الدراسة على النحو التالي:

المقدمة: واستعرض فيها الباحث أهمية الموضوع وأسباب اختياره وإشكاليته والخطة المتبعة فيه.

السياسة اللغوية: المفهوم والمنطلقات: وفيه مهد الباحث للموضوع بتعريف السياسة اللغوية وذكر منطلقاتها.

الوضعية الاجتماعية للغة العربية: وهو توصيف لوضعية اللغة العربية الاجتماعية وما تتميز به من خصائص ومزايا، يجب الإفادة منها أثناء رسم السياسة اللغوية لتعليمها.

الوضعية اللغوية الاجتماعية للغة العربية في تركيا: وهو خير دليل وأصدق شاهد على ما تتميز به اللغوية من وضعية اجتماعية متفردة في البلاد الإسلامية، وهو ما يستوجب أخذه بعين الاعتبار عند التخطيط اللغوي.

أهداف السياسة اللغوية للغة العربية: بناء على التوصيف لوضعية اللغة العربية وما تتميز من خصائص جاء هذا المبحث ليضع الأهداف ويرتبها من حيث أولوياتها.

التحديات والمعوقات: يحاول هذا المبحث أن يحدد التحديات والمعوقات حتى يمكن تجاوزها، وإيجاد الحلول العملية والعلمية لها.

الاستراتيجيات والخطوات الإجرائية: يهتم بالخطوات الإجرائية لتطبيق السياسة اللغوية وتحويلها من نصوص نظرية إلى واقعي عملي.

الخاتمة: شملت أهم النتائج والتوصيات.

السياسة اللغوية: المفهوم والمنطلقات:

لم تعُد السياسة اللغوية ترفا علميا مقصورا على قاعات البحث العلمي، والدراسات الأكاديمية، بل أضحت ضرورة من ضرورات الحفاظ على الهوية والمجتمع، وباتت مكون رئيسي من مكونات الدولة وأركانها في العصر الحديث، ولا يكاد يخلو دستور من دساتير دول العالم من النص على لغة الدولة أو لغاتها، هذا فضلا عن القوانين المسنونة والمتعلقة باللغة في أبعادها المختلفة.

وتختلف السياسة اللغوية من دولة إلى دولة، ومن لغة إلى لغة، وذلك طبقا لمعطيات كل مجتمع وتركيبته السكانية وتنوعها اللغوي، بالإضافة إلى طبيعة اللغة وخصائصها، وهو ما يستلزم وضعها في الاعتبار عند رسم السياسة اللغوية.

هذه العلاقة بين اللغة والمجتمع هي التي انبثق منها تعريف لويس جان كالفيLouis Jean Calvet للسياسية اللغوية فعرفها بأنها «مجمل الخيارات الواعية

المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن»[1].

وقد تتجاوز السياسة اللغوية حدود الوطن لترسم سياسة لغوية عابرة للحدود، ويعتبر المعهد اللغوي الصيفي خير مثال على ذلك[2]، حيث يعمل المعهد على تنظيم دورات صيفية في عدد من البلدان المختلفة للتكوين على وصف لغات العالم التي ليس لها وصف، هذا من جانب، ومن جانب آخر على ترجمة الكتاب المقدس إلى هذه اللغات، ولا يخفى أن هدف المعهد وتوأمه منظمة وايكليف لمترجمي الكتاب المقدس Wycliffe Bible Translators – WBT التنصير ونشر المسيحية، وطبقا للإحصاء الذي نشره كالفي فإن المعهد حتى عام ١٩٧٨ تناول بالدراسة ٦٧٥ لغة في ٢٩ دولة على مستوى العالم، سواء كان ذلك من خلال التنسيق المباشر مع حكومات هذه الدول، أو من خلال الجامعات.

ويمكن تلخيص السياسة اللغوية للمعهد في هذه الدول على النحو التالي:

---

(١) لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨، ص ٢٢١

(٢) انظر: الفصل الرابع عشر السياسة اللغوية والإمبريالية – المعهد اللغوي الصيفي، من كتاب حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص ٢٨٣

١. دراسة اللغات المحلية دراسة علمية ونشر الدراسات والأبحاث الأكاديمية عنها.

٢. تعليم القراءة والكتابة للسكان المحليين لتكون جسرا لتعلم اللغة الرسمية المخطط لتعزيزها أو فرضها في الدولة، وهي غالبا ما تكون لغة الاستعمار.

٣. ترجمة الكتاب المقدس إلى هذه اللغات المحلية، والنصوص الدينية مما يُسهم بشكل مباشر في عملية التنصير.

٤. تمجيد ثقافة الرجل الأبيض، وتكريس الصورة النمطية عنه بأنه النموذج الأسمى، والقدوة المثلى، وبالتالي الترويج للنموذج الغربي الذي يقوم على الإعلاء من قيم الحرية الفردية والنزعة البرجماتية في مقابل روح الجماعة والتكافل المجتمعي.

ونستنتج من تجربة المعهد اللغوي الصيفي أن السياسة اللغوية لا تنحصر في أعمال السلطة الرسمية «إنما بإمكان مؤسسات وأجهزة أخرى القيام بهذا العمل، فالسلطة الكنسية قد تدفع السياسة الألسنية باتجاه معين»[1] قد يتلاقى مع أهداف السلطة الرسمية وقد يتعارض معها، بيد أنه في جميع الأحوال يؤثر في السياسة اللغوية وملامحها.

---

(١) ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٩٣، ص ١١

وتجدر الإشارة هنا إلى مصطلح لا ينفك عن السياسة اللغوية هو مصطلح التخطيط اللغوي، وغالبا ما يزاوج الباحثون بينهما ولا يفرقون، فالتخطيط اللغوي طبقا لتعريف طوليفصون «يشمل كل الجهود الواعية الرامية إلى التأثير في بنية التنويعات اللغوية أو في وظيفتها»[1] أما مفهوم السياسة اللغوية عنده فينحصر في سلطة الدولة ودور الحكومات، فالسياسة اللغوية – عنده – «تعني ذلك التخطيط الذي تضعه الحكومات»[2]، بينما نجد كالفي يعرف التخطيط اللغوي بأنه «البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ»[3]، وقد مر آنفا تعريفه للسياسة اللغوية بأنها مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن.

ويُلاحظ من التعريفات السابقة مدى العلاقة بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي، فالفارق بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي عند طوليفصون يكمن في أن الأولى أشمل وأعم من الثانية، في حين أن الثانية تقتصر

---

(١) جيمس و. طوليفصون: السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها، ترجمة محمد الخطابي، مؤسسة الغني للنشر، الرباط – المغرب، ٢٠٠٧، ص ٢٥

(٢) جيمس و. طوليفصون: السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها، ص ٢٥

(٣) لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية ، ص ٢٢١

على سلطة الدولة، فهو لا يفرق بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي إلا من حيث الجهة القائمة بالتنفيذ، وهو تقسيم يجانبه الصواب « فإن اللغة أجل من أن تترك بيد السياسين »[1]، وقد مرت بنا تجربة المعهد اللغوي الصيفي ودوره في رسم السياسات اللغوية أو توجيهها في العديد من بلدان العالم، وتولي الدولة زمام السياسة اللغوية «لا يُقدِّم الضمانة الأكيدة في أن التخطيط سيؤدي إلى النتائج المرغوب فيها، ومحاولات الحكومات الإيرلندية في إحياء اللغة الإيرلندية Gaclic هي خير مثال على فشل السياسة الحكومية»[2] وبالتالي فإن حصر السياسة اللغوية في دور الحكومات فقط دون غيرها، هو حصر يجافي الواقع، وبمصطلح المناطقة فهو جامع غير مانع.

أما الفارق بين السياسة اللغوية والتخطيط عند كالفي فيتمثل في أن التخطيط يختص بآلية التنفيذ والتطبيق في حين السياسة اللغوية ترتبط بالتقعيد النظري، وعليه فإن كالفي يرى أنه لا تخطيط بدون سياسة لغوية، وإن كان العكس ليس حتميا كما يدعي[3]، لكن المتأمل يرى أنه لا تخطيط بدون سياسة

---

(١) عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤، الدوحة – قطر، ص ٢٦٠

(٢) ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، ص ١٢

(٣) لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص ٢٢٢

لغوية ولا سياسة لغوية بدون تخطيط، فإنه من العبث أن تكون هناك سياسة لغوية ليس لها آليات تنفيذ أو إجراءات تطبيقية، ولا تخلو سياسة لغوية أو غير لغوية بأن يكون لها خطوات إجرائية لتطبيقها وتحقيق أهدافها، لذا ينبغي لأي دراسة تسعى لرسم سياسة لغوية ألا تغفل التخطيط اللغوي، والعكس صحيح، وإلا أصبحت دراسة مبتورة يعوزها القيمة العلمية والفائدة العملية.

ولرسم السياسة اللغوية لا بد من مراحل ثلاث[1]:

١. وصف الوضعية اللغوية الاجتماعية من خلال التحليل الدقيق للوضع اللغوي في المجتمع، وتحديد الفرص المتاحة والتحديات المفروضة بشكل علمي ميداني.
٢. تحديد الأهداف العامة والمرحلة المنشود تحقيقها، ولا يتم ذلك إلا عن طريق المعرفة التامة للمخرجات المرجوة والنتائج المنشودة.
٣. وضع الاستراتيجيات وتحديد الوسائل والخطوات الإجرائية التي من خلالها تترجم الرؤى النظرية إلى واقع ملموس، وتتحقق الغايات المستهدفة.

---

(١) للاطلاع بالتفصيل عن هذه المراحل انظر: بلال دربال، السياسة اللغوية المفهوم والآلية، مقال منشور بمجلة المخبر، جامعة بسكرة الجزائر، ع (١٠) ٢٠١٤، ص ٣٢٨ – ٣٣٣

الوضعية اللغوية الاجتماعية للغة العربية:

نزل القرآن الكريم باللغة العربية فأضفى عليها قداسة دينية، مما ترتب عليه نقل العربية من لغة صحراوية لا تجاوز الجزيرة العربية، إلى لغة عالمية تتجاوز الحدود ليس على المستوى الجغرافي فحسب، بل على المستوى المعرفي والحضاري أيضا، فباتت لغة العلم والمعرفة والسياسة والاقتصاد، بدلا من أن كانت مقصورة على الشعر والخطابة.

هكذا رفع القرآن من منزلة اللغة العربية حتى صارت جزءا لا يتجزأ من عقيدة كل مسلم، وفرضا من فرائض دينه، الذي لا يسع المسلم التقصير فيه، يقول ابن تيمية: «فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[1]وهو ما أضفى على اللغة العربية مزية دون سائر اللغات الأخرى، فليس هناك لغة غير العربية – فيما نعلم – يكون تعلُّمها فرض من فرائض الدين «والإقبال على تفهمها من الديانة»[2].

(١) تقي الدين ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم عقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ -١٩٩٩، ص ٥٢٧

(٢) أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ص٢٩

فالقرآن الكريم لا يمكن فهم آياته وتدبر معانيه، أو حتى تلاوة حروفه، مجردا عن اللغة العربية، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥] وهو ما أدركه المسلمون – عربا وعجما – على مر العصور، وتعاقب الأجيال، مما حدا بالمسلمين من غير العرب إلى الإقبال على تعلمها، كي يفهموا كلام الله تعالى، ويقفوا على حدوده وأوامره، ومع الانتشار السريع للإسلام ندب المسلمون العرب أنفسهم إلى تعليم العربية لإخوانهم، الذين «انكبوا على تعلم اللغة العربية وهم من غير العرب، فأصبحوا أئمة وفرسانا في الشريعة والتفسير والحديث واللغة، مثل: الإمام الطبري، والإمام الرازي، والإمام البخاري، والإمام مسلم، وسيبويه»[1] قديما، ومثل: جمال الدين الأفغاني، وأبي الحسن الندوي، وفانيامبادي عبد الرحيم (Vaniyambadi Abdur Rahim) حديثا.

وما كانت اللغة العربية لتحتل هذه المنزلة الفريدة دون سائر اللغات إلا بفضل القرآن الكريم، الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين؛ فحفظها الله تعالى بحفظه لكتابه المجيد، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] فاستمدت منه جمالها وجلالها، وكان لها سببا من أسباب السماء، وهو

---

(١) خير الدين خوجة: فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها، مقال بمجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان، ع١٩، ٢٠١٢، ص١٥

ما عبر عنه الثعالبي بقوله: «إن مَن أحبَّ اللهَ أحب رسوله، ومن أحبَّ النبي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللُّغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب» وهذا هو الدافع الرئيسي لانتشارها بين الأقطار الإسلامية، وهو السبب القوي للمثابرة على تعلمها واكتسابها، « فمن أحب العربية عُنيَ بها وثابر عليها، وصرف هِمَّتهُ إليها»[1].

ولقد كان لإقبال الشعوب الإسلامية على تعلم العربية بعد انتشار الفتوحات الإسلامية كبير الأثر في إقراض الكثير من ألفاظ العربية للغات هذه الشعوب، وهو ما تشهد به معاجم اللغات وقواميسها، فلا يكاد يخلو معجم من المعاجم إلا ويحوي بين دفتيه مجموعة من الألفاظ العربية، مما دفع بعض الباحثين إلى اعتبار اللغة العربية أم واللغات وأصلها الأصيل[2]، فاليونانية واللاتينية بالرغم من أنهما أقدم من العربية فلم تؤثرا إلا على اللغات الأوربية، بينما في العصر الحديث نجد الإنجليزية والفرنسية ذات تأثير محدود على لغات الشعوب مع أنهما لغتي أكبر امبراطوريتين في العصر الحديث، وعلى النقيض من ذلك نجد للعربية – التي واجهت تحديات خارجية من أعدائها، وتقصيرا وإهمالا داخليا

---

(١) أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص٢٩

(٢) انظر: اللغة العربية أصل اللغات كلها، عبد الرحمن أحمد البوريني، دار الحسن، عمان – الأردن، ١٩٩٨

من أبنائها – «تأثيرا واضحا غير يسير في نحو مائة من اللغات واللهجات الناطق بها أرقى الأقوام في أنحاء أوربة وأميركة واسترالية، ونحو خمسين من شعوب آسية وأفريقية»[1].

وقد أرجع رفائيل نخلة اليسوعي[2] أسباب هذا التأثير إلى ثلاثة أسباب، هي:

١. انتشار الإسلام في آسيا وأفريقيا وعدة أصقاع من أوربا.
٢. كثرة الفتوحات الإسلامية.
٣. تأثير الثقافة الإسلامية في أوربا طول القرون الوسطى.

مؤكدا على أن تلاوة القرآن وفهمه متوقف على تعلم العربية، وخاصة أن الفقهاء حتى عصرنا الحاضر لم يجوّزوا ترجمة القرآن، وإن جوّزوا ترجمة معانيه؛ مما حفظ للعربية قدسيتها ومكانتها الدينية.

وبالإضافة إلى الحافز الديني في تعليم العربية فإن الحافز السياسي في الوقت الراهن يمثل دافعا مباشرا لتعلم العربية وخاصة للدول والشعوب غير الإسلامية، فإن أحدث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها من ثورات

(١) رفائيل نخله اليسوعي: غرائب اللغة العربية، دار المشرق، الطبعة الرابعة، ص ١١٩

(٢) الصفحة نفسها.

الربيع عملت بشكل بارز على زيادة الإقبال على تعلم العربية، وفي أمريكا – على سبيل المثال – بات تعلم العربية ضرورة من ضروريات الأمن القومي، كما صرح بذلك الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الاب عندما أطلق المبادرة اللغوية للأمن القومي في ٢٠٠٦، التي ضمت ثلاث وزارات (التعليم، والخارجية، والدفاع) بالإضافة إلى جهاز الاستخبارات الأمريكية CIA.

وعلى إثر هذه المبادرة زاد عدد الدارسين للغة العربية من خمسة آلاف إلى اثني عشر ألف في ٢٠٠٧، بينما وصل في عام ٢٠١٠ إلى خمسين ألف طالب كما جاء في دراسة أمريكية أصدرتها «رابطة اللغات الحديثة» وكانت قد أشارت دراسة سابقة في ٢٠٠٧ لجمعية دراسة اللغات المعاصرة في الولايات المتحدة إلى أن نسبة الدارسين للغة العربية بلغت ٩٣,٣٪ ويعد هذا أعلى ارتفاع يشهده تدريس لغة أجنبية في الولايات المتحدة[1]، في حين ارتفعت النسبة بعد ثورات الربيع العربي بشكل ملحوظ، لتصل في ٢٠١١ نسبة دارسي العربية بالولايات المتحدة إلى ٨٦٪ في حين أن نسبة دارسي الصينية ٣١٪ ونسبة دارسي الإسبانية ٢٨٪ وبلغت نسبة الإقبال على تعلم العربية ١٧٦٪ بين الأمريكيين.

---

(١) محمود كامل الناقة: تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى – أسسه، مناهجه، طرق تدريسه، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٩٨٥، ص٢١

ويمكن أن نطلق على هؤلاء الشريحة من الدارسين اسم المستشرقين الجدد، حيث «يهتمون بدراسة اللغة العربية لتحليل الثقافة السائدة، ولإدراك المفاهيم التي تشكل العقلية العربية المعاصرة وتؤثر في توجهاتها، ولمعرفة الأنماط السلوكية للشعوب العربية، مما يسهم بشكل بارز في اتخاذ القرار الملائم عند صناع القرار في الدوائر الغربية»[1] وهو الدور نفسه الذي لعبه الاستشراق في الحقبة الاستعمارية للبلاد العربية والإسلامية.

وبجانب الغرض الديني والسياسي هناك أغراض أخرى لتعلم العربية وتعليمها، مثل: الأغراض الاقتصادية والسياحية والثقافية، بيد أن الغرضين الديني والسياسي هما البارزان على الساحة، وبغض النظر عن الأهداف وراء تعلم العربية فإن الواقع يشير إلى زيادة الدارسين للعربية « فإذا ذكرنا العالم بصفة عامة لا نكاد نجد دولة من الدول في الغرب، أو في الشرق إلا اهتمت بتعليم اللغة العربية، متمثلا ذلك في معاهد اللغات أو الاستشراق أو أقسام الدراسات الشرقية واللغة العربية في الجامعات»[2]هذا بصفة عامة، فالوضعية اللغوية للغة

---

(١) هاني إسماعيل محمد: دور تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ترسيخ الهوية العربية – رؤية استشرافية، مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث، ع٩١، سنة ٢٠١٥، ص٣٦

(٢) محمود كامل الناقة: تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى – أسسه، مناهجه، طرق تدريسه، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٩٨٥، ص٢١

العربية تختلف من قطر إلى قطر ومن مجتمع إلى مجتمع، ولكن في مجملها تشير إلى وضعية متميزة نسبيا، وتشير أيضا إلى مزية إيجابية مقارنة باللغات الأخرى، وربما وضع اللغة العربية في تركيا يؤكد ما نذهب إليه.

الوضعية اللغوية الاجتماعية للغة العربية في تركيا :

تُثبِّت اللغة العربية قدميها في تركيا فمع بداية العام الدراسي المقبل ٢٠١٦/٢٠١٧ في تركيا تكسب اللغة العربية مزية جديدة، إذ أصدرت وزارة التربية والتعليم التركية قرارًا بإدراج اللغة العربية مادة اختيارية للطلاب اعتبارًا من الصف الثاني الابتدائي، وهو ما يشير بوضوح إلى مدى الإقبال على اللغة العربية لدى الطلاب الأتراك في مختلف المراحل التعليمية، سواء التعليم ما قبل الجامعي أو الجامعي، وهو ما يعكس الاهتمام الشعبي والرسمي باللغة العربية، والرغبة الجامحة في تعلمها واكتساب مهاراتها.

واهتمام الأتراك بتعليم اللغة العربية ليس وليد اللحظة، بل هو قديم منذ أن اعتنقوا الإسلام، ففي آيار ٩٢٢ م استخدموا الحروف العربية لكتابة اللغة

التركية في القرن العاشر الميلادي[1] وظلت العناية باللغة العربية تتنامى حتى بات تعلمها أساسا لتولي المناصب القيادية في الدولة[2].

وبالرغم من حظر تعلم اللغة العربية واستبدال الحروف اللاتينية بدلا من العربية لكتابة اللغة التركية في العهد الأتاتوركي فإن الأتراك ظلوا شغوفين بتعلم العربية وتعليمها، وما إن أتيحت لهم الفرصة حتى تدفقوا في تعلمها والالتحاق بالمدارس التي تدرسها، وهو ما تؤكده الإحصائيات الرسمية حيث إن عدد مدارس الأئمة والخطباء للمرحلة الإعدادية بلغ ١٩٦١ مدرسة يدرس فيها ٥٢٤٢٩٥ طالبا وطالبة، بينما بلغ عدد مدارس الأئمة والخطباء للمرحلة الثانوية ١١٤٩ مدرسة يدرس فيها ٦٧٧٢٠٥ طلاب وطالبات، هذا طبقا للإحصاء الوطني للتربية والتعليم للعام الدراسي ٢٠١٥/ ٢٠١٦ الصادر عن وزارة التربية والتعليم التركية[3] علما بأن اللغة العربية في مدارس الأئمة والخطباء مادة إجبارية على جميع الطلاب، أي أن مجموع الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية بشكل إلزامي في التعليم ما قبل الجامعي حوالي ١٢٠١٥٠٠ طالبا

(1) Kartalcık, Vedat (2009) Geçmişten Günümüze Türk Dünyasında Alfabe Gelişimi. In: 1st International Symposium on Sustainable Development, June 9-10, 2009, Sarajevo, Bosnia and Herzegovina, P 363
(2) Ergan, osman (1977) Türkiye Maarif Tarihi. Istanbul: Eser Matabaası, https://istatistik.yok.gov.tr/yuksekogretimIstatistikleri/2015/2015_T3_v2.pdf, P 67
(3) Milli Eğitim Bakanlığı, (2016) . MİLLÎ EĞİTİM İSTATİSTİKLERİ Örgün Eğitim 2015/'16, Ankara: Milli Eğitim Bakanlığı, P 86, 208

وطالبة، هذا فضلا عن الطلاب الذين يدرسونها اختياريا في غير مدارس الأئمة والخطباء.

وفي المرحلة الجامعية بلغت كليات العلوم الإسلامية ١٣ كلية طبقا لإحصاء المجلس الأعلى للتعليم في ٢٠١٤/ ٢٠١٥ بها ٦٩٥٨ طالبا وطالبة، بالإضافة إلى ٥٢ كلية للإلهيات بها ٩٤٠٩٢ طالبا وطالبة(1) مع الوضع في الاعتبار أن هناك كليات أخرى تدرس اللغة العربية مثل كليات الترجمة واللغات على سبيل المثال.

هذا الوضع المتميز للغة العربية والرغبة الجامحة في تعلمها يستوجب على أبنائها بذل قصارى جهدهم لتيسير تعليمها وتعلمها، والعمل على توفير مصادر تعلمها، وحل الصعوبات والمعوقات على اكتساب لسان لغة القرآن الكريم.

أهداف السياسة اللغوية للغة العربية:

لنجاح أي سياسة لغوية لا بد من تحديد أهدافها بوضوح ودقة، لاختيار المسار المناسب والآليات الفاعلة، الذي يحقق هذه الأهداف بأقل مجهود وتكلفة، والمتأمل إلى الجهود المبذولة على أرض الواقع يجد جهودا مخلصة، ونيات صادقة

---

(1) YÖK, Öğretim Yılı Yükseköğretim İstatistikleri 2014-2015, Retrieved Mays 13, 2016 from https://istatistik.yok.gov.tr

لكن يعوزها التخطيط اللغوي الذي يعتمد على سياسة لغوية واضحة الأهداف، سواء العامة منها أم المرحلية.

وقبل أن نحدد أهداف السياسة اللغوية، لا بد أن نوضح أن اتجاهات السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي لا تخلو من ثلاث اتجاهات، هي[1]:

١. محاولة إزالة كل اللغات باستثناء لغة واحدة، حيث يهدف هذا الاتجاه إلى إزالة التعددية اللغوية من المجتمع اللغوي أو الدولة.
٢. الاعتراف بالتعددية اللغوية، والمحافظة على اللغات الأساسية في إطار المجتمع اللغوي أو الدولة.
٣. الاعتراف بلغتين رسميتين تتوافقان مع التركيبة اللغوية الوطنية، حيث يسعى هذا الاتجاه إلى إقامة المساواة بين المجموعتين اللغويتين في الدولة.

والاتجاه الثاني والثالث هما الاتجاهان الملائمان لرسم السياسة اللغوية للغة العربية في البلاد غير الناطقة بها، بينما الاتجاه الأول مستبعد لأنه يفرض صراعًا لغويًّا ولا يخدم العربية، بل يعمل على تعزيز الانقسام والتعصب المذموم، وتكريس مفهوم الإقصاء والاستبعاد، هذا على افتراض إمكانية تطبيقه.

---

(١) انظر: ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص١٦

فإن الهدف الأول والأساسي في السياسة اللغوية للغة العربية في البلاد غير الناطقة بها يجب أن ينطلق من أن تكون اللغة العربية إحدى اللغات في بيئة متعددة اللغات أو بيئة ثنائية اللغة، كما هو الحال في كثير من البلاد الإفريقية، مثل تشاد، وجزر القمر، والصومال، وجيبوتي، وإرتيريا، وغيرها في كثير من البلدان، وعند رسم السياسة اللغوية للعربية في هذه البلدان يجب الأخذ بعين الاعتبار – كما وضحنا سابقا – هذا الوضع اللغوي الاجتماعي واستثماره، فهو يُعد مزية تفضيلية للعربية.

هذا بالنسبة للبلاد التي تعترف باللغة العربية لغة رسمية، أما في الدول الإسلامية التي تهتم باللغة العربية ولا تعترف بها فإن الهدف الرئيسي للسياسة اللغوية هو الثنائية اللغوية على المستوى الشخصي «لأن هدف السياسة اللغوية ليس اللغة فحسب؛ بل التأثير على السلوك اللغوي للأفراد»(١).

ويجدر أن نعرف ما المقصود هنا بالتعددية اللغوية والثنائية اللغوية، يُعرِّف معجم اللسانيات والصوتيات(٢). التعددية اللغوية بأنها مصطلح يُستخدم في علم اللغة الاجتماعي للإشارة إلى المجتمع اللغوي الذي يستخدم لغتين أو

---

(١) انظر: السابق، ص١٦

(2) David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell, 6th ed, 2008, P 318

أكثر، كما يشير إلى الشخص الذي يكون لديه هذه القدرة، وهو بهذا يقابل مصطلح أحادي اللغة، وبهذا المعني فإنه يندرج تحته مصطلح الثنائية اللغوية.

وهذا التعريف هو الذي سيعتمده البحث، وخاصة أن هناك العديد من الباحثين ينظر إلى المصطلحين باعتبارهما مترادفين، إذ يعدون «الفرد ثنائي اللغة حين يمتلك عدة لغات تكون مكتسبة كلها كلغات أمٍّ»[1]، وعليه فإن مصطلح الثنائية اللغوية يعني «التناوب في استعمال لغتين أو أكثر»[2]، وبالتالي فإن الفرق الكمي بين التعددية اللغوية والثنائية اللغوية يتلاشى، كما أن التعريف الأخير لثنائية اللغة يمحو الفارق الكيفي المتمثل في أن تكون اللغتين بمثابة اللغة الأم.

وبالنظر إلى أنواع الثنائية اللغوية نجد أن الثنائية اللغوية المدرسية أو التربوية تمثل الهدف المرحلي المتوافق مع رسم السياسة اللغوية للغة العربية لغير الناطقين بها، «وهذه الثنائية اللغوية تتنوع من الناحية العملية من تدريس لغة ثانية إلى تعلم المواد المدرسية باللغة الثانية وإلى استيعاب ثقافة اللغة الثانية وقيمها»[3] وهو الهدف المراد إنجازه من تعلم اللغة العربية في البلاد غير الناطقة بها، خاصة الإسلامية منها، وهو ما يتقاطع مع رغبات الدارسين الفردية

---

(١) ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص٣٦

(٢) السابق، ص٣٦

(٣) السابق، ص٣٩

واحتياجاتهم وميولهم الشخصية، وهو ما يندرج تحت الثنائية اللغوية مدرسية خاصة بالأفراد.

ومن ثم يمكنا أن نصوغ هدفين استراتيجيين للسياسة اللغوية في البلاد غير الناطقة العربية الأول منهما يختص بالدولة والثاني يختص بالأفراد، وذلك على النحو التالي:

- الهدف الاستراتيجي الأول: أن تصبح اللغة العربية لغة ثانية لدى الشعوب الإسلامية.
- الهدف الاستراتيجي الثاني: تيسير تعلم اللغة العربية وتعلميها للدراسين حتى يصيروا ثنائي اللغة.

التحديات والمعوقات:

لإنجاز الأهداف المرجوة ولضمان وضع استراتيجيات فاعلة يجب التعرُّف على المعوقات التي تواجه تعلم اللغة العربية، والتحديات التي تقف عثرة في طريق نشرها، ليتسنى تفاديها، وطرح الحلول الناجعة لها، وبالرغم من تعدد صور التحديات التي تواجه اللغة العربية في الوقت الحالي إلا أنه يمكن إيجاز هذه التحديات في نقاط ثلاث:

أولا: التصور الذهني الخاطئ بأن اللغة العربية لغة صعبة التعلم إن لم تكن أصعب اللغات، ولقد روج هذا التصور أعداء العربية من المحتلين

وتلاميذهم من المستغربين، لتثبيط همم الدارسين وصرف أبنائها عن تعلمها، بإقامة حاجز نفسي بينهم وبين اللغة، فانظر على سبيل المثال إلى سلامة موسى وتبنيه رأي المستشرق وليم ولكوكس بهجر الفصحى واتخاذ العامية لغة للكتابة والدراسة، ويسرد آراء ودعوات المتأففين من الفصحى – على حد تعبيره – من أسلافه ومعاصريه أمثال قاسم أمين، وأحمد لطفي السيد، ويبرر نقمتها على الفصحى بسببين «أولهما: صعوبة تعلمها، وثانيهما: عجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية»(١) ثم يقرر بصيغة جازمة – غير قابلة للنقاش – صعوبة تعلم العربية على الطلاب، وكراهيتهم لها، فيقول:

«ولكن الواقع الذي لا أناقش فيه أن اللغة العربية يشق على الطالب تعلمها، وطلبتنا مكدودون في المدارس يكدحون لفهم المئات من قواعدها، ويخرجون بعد ذلك منها وهم يكرهونها، لأنهم لا يرون طائلا وراءها»(٢).

ولم تكن دعوة ولكوكس وترويج سلامة موسى لها مجرد رأي صادر من قناعة شخصية، أو مجرد محاولات فردية، بل كان حلقة في حلقات خطة استعمارية تستهدف الإسلام وروحه التي تتنافى مع الأطماع الاستعمارية، فكان أول واجب للقضاء على الإسلام وروح المقاومة «هو التقليل من أهمية اللغة

---

(١) سلامة موسى: اليوم والغد، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ١٩٢٨م، ص٧٢

(٢) السابق: ص٧٣

العربية، وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحلية في شمال إفريقيا، واللغات العامية، حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم، ويمكن التغلب على عواطفهم»[1].

ولقد تبني بعض محبي العربية هذا التصور وتشدق بصعوبتها تفاخرًا وتباهيا بها، ناسيا المردود العكسي على دارسيها أو الراغبين في دراستها.

ودعوى صعوبة اللغة العربية دعوى مردود عليها علميا وشرعيا، فمن الناحية الشرعية قد غفلوا جميعا – عمدا أو جهلا – قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] والتي تكررت أربع مرات في سورة القمر، ولن يتيسر القرآن للذكر إلا بتيسير لغته، لذا قال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ يعني هَوَّنَّا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن، كما أورد ابن كثير عن الوراق أن قوله تعالى ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ هل من طالب علمٍ فيُعان عليه[2]، فالله تعالى تكفّل بإعانة كل طالب علم يريد أن يفهم القرآن الكريم ويعرف معانيه، ولن يتحقق هذا إلا بتعلم لغة القرآن الكريم، وهذا ما دفع ابن تيمية إلى القول بوجوب تعلم اللغة العربية – كما ذكرنا سابقا –كما قال: ﴿كِتَابٌ

---

(١) محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤، ج٢، ص ٣٦٥

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩، ٧/ ٤٧٨

أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]

ومن الناحية العلمية فإن اللغة العربية تتميز بخصائص تسهم بشكل بارز على تيسير تعليمها، فمثلا تتميز الكتابة العربية بأنها كتابة فونيمية[١] فلكل فونيم صامت حرف يقابله في العربية، كما وضعت لفونيمات الصائت الطويل حروف المد (الألف، والواو، والياء) ووضعت لفونيمات الصائت القصير الحركات (الفتحة، والضمة، والكسرة)، «فالكتابة العربية مكتفية ذاتيا بعلاقة كتابتها بأصواتها، وهذا ما يجعل تلميذًا لا تعدو ثقافته الدراسية الابتدائية أن يكتب كلمة لا معنى لها مثل (دَيْز) كتابة صحيحة، مستندا في ذلك إلى هذا الانضباط الموجود في العلاقة بين فونيمات اللغة العربية وكتابتها، بيد أن الفرنسي لا يستند إلى أي قدر من الانضباط عندما يكتب كملة monsieur (بمعنى سيِّد، وتنطق مسيو، بإمالة الواو مع غُنَّة) وإنما يستند إلى ذاكرته لا إلى قواعد»[٢] ، والأمر عينه في اللغة الإنجليزية، فعلى سبيل المثال فونيم الكسرة الطويلة، والذي يكتب في العربية ياءً، « فإن هذا الصوت يكتب في الإنجليزية على ست

(١) طالب عبد الرحمن: نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة، ع محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة – قطر، ١٩٩٩، ص١٠٥

(٢) السابق، ص١١١

صورة متعددة، لا يميز إحداها عن الأخرى منطق أو قواعد، وهي (y, e, ie, ei, ea, ee) بينما هو لا يكتب في العربية إلا ياءً»[1].

هذا على المستوى الصوتي أما المستوى النحوي والصرفي فاللغة العربية لغة قياسية، الأصل في قواعدها الاطراد وما شَذَّ عن ذلك فهو نادر، لذا قال الكسائي: إنما النحو قياس يتبعُ[2].

ثانيا: انتشار العاميات واللهجات المحلية في الحياة اليومية والأمور الحياتية، «وظهور لهجات هجين، كتلك التي ظهرت في الخليج العربي بسبب وجود الخادمات والخدم»[3] وفي المقابل انحصار استخدام الفصحى واقتصار استعمالها على بعض الدروس الدينية، والخطب الرسمية، وبعض برامج وسائل الإعلام كنشرات الأخبار والبرامج الثقافية والوثائقية، مما ترتب عليه غياب الفصحى من الاستعمال اليومي، حتى بات استعمالها والتحدث بها داعٍ للتندر والسخرية، ولا يغيب عن أذهاننا الهزيمة النفسية لأبناء العربية أمام التقدم

---

(١) محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مؤسسة الرسالة، ص ٣٦٦

(٢) علي بن يوسف القفطي: انباه الرواة على أنباه الرواة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٨٦، ج٢، ص ٣٦٦

(٣) فواز عبد الحق الزبون: دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، بحث منشور ضمن الموسم الثقافي (٢٧) لمجمع اللغة العربية الأردني، "اللغة العربية في المؤسسات الأردنية وسبل النهوض بها" ٢٠٠٩، ص ٨٦

المادي والتكنولوجي للغرب، مما انعكس على ازدراء أبناء العربية للغتهم وثقافتهم مقابل انبهارهم بلغة الآخر وثفافته.

ثالثا: غياب الإرادة السياسية التي تعمل على حماية اللغة العربية بسن التشريعات والقوانين اللازمة، التي تضمن مكانتها على جميع المستويات، وتحفظ لها موقع الريادة في الوطن، فضلا عن صيانتها من الغزو الثقافي والفكري، «إذ لا سبيل إلى إزالة العراقيل من أمامها، وهي كثيرة ومتعددة إلا بالقانون، كما هو الشأن في كثير من الدول الغربية باعتبار أن المساس بحرمة اللغة الوطنية هو انتهاك لسيادة الدولة، وهذا مبدأ دستوري يعمل به في الدول التي تحترم خصوصياتها الثقافية والحضارية، وتصون هويتها الوطنية، وترى في لغتها ثابتا من ثوابتها التي يقوم عليها الكيان الوطني»[1].

ولقد كان لغياب الإرادة السياسية أثر سلبي على اللغة العربية فتجرأ أعداؤها من الداخل والخارج عليها، وازدروها حين لم يجدوا رادعا أو زاجرا، وجالت وسائل الإعلام وصالت بلهجات محلية، أو بلغات أجنبية ترفع شأنها وتضع من شأن العربية، فهانت في نفوس الشباب والنشء العربي، مما انعكس سلبا على متعلميها من غير الناطقين بها فوجد انفصالا تاما بين ما يدرسون في

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجري: حاضر اللغة العربية، الإيسيسكو، الرباط، ٢٠١٣، ص ٢٥

الصف وما يسمعون في خارجه، وقد صدموا عندما وجدوا سخرية واستهزاء من أبناء العربية عندما يحدثونهم بالفصحى، فبدلا أن يجدوا تشجيعا وجدوا تثبيطا.

فإن تحققت الإرادة السياسة للحفاظ على اللغة العربية وحمايتها من التدليس والتدنيس، وصدقت النوايا وأخلصت الجهود؛ فإن ذلك سيسهم بشكل بارز في نجاح السياسة اللغوية في المجتمعات العربية وفي المجتمعات غير الناطقة بالعربية.

الاستراتيجيات والخطوات الإجرائية:

لكي يتحقق الهدفين الرئيسين، ألا هما:

- أن تصبح اللغة العربية لغة ثانية لدى الشعوب الإسلامية.
- تيسير تعلم اللغة العربية وتعلميها للدراسين حتى يصيروا ثنائي اللغة.

ينبغي من وضع بعض الاستراتيجيات الفاعلة والخطوات الناجزة، سواء على مستوى المحافل الدولية والإقليمية، أو على مستوى الأفراد والجهود الذاتية، ولن يتم ذلك إلا بتغيير القناعات لدى الإرادة السياسية والإرادة الشعبية، فإن الأمة التي تفتقد لغتها تفتقد وجودها، وتهدم كيانها، وتطمس

تراثها، وتصبح أثرا بعد عين، وهذا يفسر لنا الجهود الحثيثة التي بذلها العدو لتهميش اللغة العربية في مقابل لغته الوافدة، فاللغة العربية ليست مجرد وعاء ثقافي، أو وسيلة للتواصل والتعبير، وهنا تكمن خطورة اللغة على تشكيل هوية الفرد وصياغتها، وما يمكن أن يمثله هذا من خطر محدق على مصير الأمة، فاللغة هي الذات الفردية وهي الهوية القومية في آن، وعليه فإن اللغة إحدى ركائز الأمن القومي، « فما ذلّت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطّت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار »[1]، لذا كانت من أولويات الاستعمار فرض سياسته اللغوية على الشعوب، فباتت اللغة هي المحور الرئيس لصراع الوجود وصراع الهويات، فبقاء اللغة حياة للأمة وهويتها واندثار اللغة اندثار للأمة هوية وحضارة، فصراع اللغة هو صراع البقاء والفناء «فما من صراع بشري، إلا ويُبطن في جوفه صراعا لغويا، حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية»[2].

وفي هذا الخضم من الصراع اللغوي في ظل العولمة يجب على أبناء العربية قادة وشعوبا الالتفاف حولها، مما يؤهلها على المنافسة والمقاومة في هذا الصراع الدائر، ومما يضمن أيضا الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للأمة.

---

(١) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢، ج ٣، ص ٢٩

(٢) نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص٢٣٢

وهذه بعض الاستراتيجيات والخطوات الإجرائية، التي إن أخذت بعين الاعتبار سيكون لها دورًا ملموسا في تربع العربية في مكانتها المطلوبة، وما يضمن تحقيق الأهداف المذكورة آنفا:

١. إصدار قرار من منظمة المؤتمر الإسلامي يحث الدول الأعضاء على اعتماد اللغة العربية لغة رسمية.

٢. إصدار قرار من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) يدعو إلى جعل اللغة العربية لغة إجبارية في المراحل التعليمية المختلفة.

٣. تفعيل مشروع الإيسيسكو لكتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآني[1] والتوسع في رقعة تطبيقه في البلاد الإفريقية والآسيوية.

٤. توفير مصادر التعلم اللازمة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وذلك عن طريق قيام المراكز المتخصصة والجامعات والمؤسسات العلمية بإصدار مناهج لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين لكل بلد إسلامي على حده؛ معتمدا على البحوث العلمية في مناهج علم

---

(١) للمزيد عن مشروع الحرف القرآني انظر http://www.isesco.org.ma/ar/standardized-quranic-script تاريخ الزيارة: ١/ ٩/ ٢٠١٦

اللغة التقابلي وتحليل الأخطاء، ومراعيا الخصوصية اللغوية والثقافية لكل بلد، فالمشكلات اللغوية لطالب من تركيا تختلف عن مشكلات اللغوية لطالب من ماليزيا مثلا، كما أن الرصيد المفردات المشترك بين اللغة التركية والعربية يتباين مع الرصيد اللغوي المشترك بين الماليزية والعربية.

٥. مواكبة العصر في توظيف التكنولوجيا في العملية التعليمية وإعداد وسائل تعليمية حديثة، مثل برامج الحاسوب، ومواقع الانترنت، فهذه الوسائل فاعلة في الإقبال على تعلم اللغة العربية، ومجدية في تعليمها.

٦. إعداد معلمين متخصصين لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها إعداد علميا وعمليا يؤهلهم إلى حمل رسالة اللغة العربية إلى العالم الإسلامي، وإيفادهم إلى الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية في البلدان الإسلامية، فمن نافلة القول أن المعلم الماهر يلعب الدور الرئيسي في تعليم اللغة وزيادة التحفيز لدى الدارسين على اكتسابها.

٧. إنشاء مراكز ومعاهد متخصصة لتعليم اللغة العربية تبتع السفارات العربية في البلاد الإسلامية على غرار المركز الثقافي البريطاني.

٨. تقديم المنح الدراسية للطلاب غير الناطقين بالعربية للدراسة في الجامعات والمعاهد العربية، وعقد اتفاقيات بين الجامعات العربية والجامعات في البلاد الإسلامية لتبادل الطلاب.

٩. سن قانون في الدول العربية يلزم الراغبين في العمل فيها من الجنسيات الأخرى على تعلم اللغة العربية.

١٠. تشجيع الاستثمار في تعليم اللغة العربية ودعوة المهتمين بالتعليم الخاص بإنشاء معاهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ودعوة دور النشر الالكتروني والورقي إلى إصدار المطبوعات ووسائل التعليم الحديثة، وتسويقها في دول العالم المختلفة[1].

١١. إنشاء جمعيات ومؤسسات غير ربحية تتخصص في إعداد المناهج العلمية والوسائل التعليمية وإنشاء المواقع الالكترونية، وتقديم المنح الدراسية والجوائز العلمية للدارسين والباحثين ودعم المعاهد التعليمية المتخصصة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

١٢. تدشين هيئة عالمية لاعتماد المناهج العلمية والمعاهد التعليمية لضبط مسار تعليم اللغة العربية، ووضع معايير دولية لمستويات تعليم

(١) هاني إسماعيل محمد: دور تعليم اللغة العربية في ترسيخ الهوية العربية، ص ٥١

وتعلم اللغة العربية، ومتابعة المراكز والمعاهد الخاصة واعتمادها، مما يكفل تحقيق الجودة.

الخاتمة:

إن كان الله تعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم، ومن ثم حفظ اللغة العربية فإن ذلك لن يتم إلا بجهود المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية، وإن الحرب الشعواء ضدها يستلزم من كل غيور على لغة القرآن أن يهب ليذود عنها، وإن كان أبناء الأمة العربية يديرون وجوههم عن اكتسابها وإتقانها، فإن أبناء الشعوب الإسلامية ليُولون وجوههم شطرها، وهو ما يدعو إلى بذل المزيد من العناية والرعاية بهذه الفئة التي جاءت رغبة لا رهبة لإتقان لغة القرآن، وألا نعبس ونتولى عنهم، زهدا أو كبرا، فإن تعليم العربية فرض علي كل مسلم، تستمد هذه الفرضية من فرضية الدعوة إلى دين الله.

وهذا الواقع المتميز للغة العربية دفع الباحث إلى العمل على وضع سياسة لغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها مساهمة منه في سد ثغرة من ثغرات المكتبة العربية في هذا الحقل، وسعيا منه في استثمار الوضعية الاجتماعية للغة العربية المتفردة.

وقد أسفرت الدراسة عن عدة نتائج وتوصيات أهمها:

أولا: وضع هدفين رئيسين للسياسة اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، هما:

- أن تصبح اللغة العربية لغة ثانية لدى الشعوب الإسلامية.
- تيسير تعلم اللغة العربية وتعلميها للدراسين حتى يصيروا ثنائي اللغة.

ثانيا: تحديد المعوقات التي تقف أمام تحقيق هذين الهدفين، وتوصلت إلى ثلاث معوقات رئيسية، تمثلت في الآتي:

- التصور الذهني الخاطئ بأن اللغة العربية لغة صعبة التعلم.
- انتشار العاميات واللهجات المحلية في الحياة اليومية والأمور الحياتية.
- غياب الإرادة السياسية التي تعمل على حماية اللغة العربية.

ثالثا: أكدت الدراسة على أن اللغة العربية والحفاظ عليها ركيزة من ركائز الأمن القومي العربي، وعاملا رئيسيا من عوامل الحفاظ على هوية الأمة، ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

رابعا: سردت الدراسة بعض الاستراتيجيات والخطوات الإجرائية التي يمكن من خلالها تنفيذ السياسة اللغوية لتعليم اللغة العربية في تعليم اللغة

العربية لغير الناطقين بها على أرض الواقع، وترجمتها من دراسة نظرية إلى واقع عملي ملموس.

خامسا: راعت الدراسة التنوع في الاستراتيجيات والخطوات الإجرائية، لتشمل كل المسئولين والمهتمين والمختص على مختلف مستوياتهم ومسئولياتهم، فقدمت استراتيجيات للسياسيين والاقتصاديين والمؤسسات العلمية وللأفراد، ولم تقصر استراتيجيات على فئة دون أخرى، حتى تكون شاملة وقابلة للتنفيذ.

وفي الختام فإن الباحث ليوصي الغيورين على العربية ببذل قصارى جهدهم لخدمتها، والعمل على الرقي بها، كما يوصي الباحثين بمزيد من الأبحاث والدراسات العلمية في حقل السياسة اللغوية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

والله من وراء القصد وهو عليه السبيل.

المراجع

١. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.

٢. أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

٣. بلال دربال، السياسة اللغوية المفهوم والآلية، مقال منشور بمجلة المخبر، جامعة بسكرة الجزائر، ع (١٠) ٢٠١٤م.

٤. تقي الدين ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم عقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٥. جيمس و. طوليفصون: السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها، ترجمة محمد الخطابي، مؤسسة الغني للنشر، الرباط – المغرب، ٢٠٠٧.

٦. خير الدين خوجة: فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها، مقال بمجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان، ع١٩، ٢٠١٢م

٧. رفائيل نخله اليسوعي: غرائب اللغة العربية، دار المشرق، الطبعة الرابعة.

٨. سلامة موسى: اليوم والغد، سلامة موسى للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٢٨م
٩. طالب عبد الرحمن: نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة، ع محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة – قطر، ١٩٩٩م
١٠. عبد الرحمن أحمد البوريني: اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن، عمان – الأردن، ١٩٩٨م
١١. عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤، الدوحة – قطر.
١٢. عبد العزيز بن عثمان التويجري: حاضر اللغة العربية، الإيسيسكو، الرباط – المغرب، ٢٠١٣م.
١٣. علي بن يوسف القفطي: انباه الرواة على أنباه الرواة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٨٦م.
١٤. فواز عبد الحق الزبون: دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، بحث منشور ضمن الموسم الثقافي (٢٧) لمجمع اللغة العربية الأردني، «اللغة العربية في المؤسسات الأردنية وسبل النهوض بها» ٢٠٠٩م.
١٥. لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨.

١٦. محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤

١٧. محمود كامل الناقة: تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى – أسسه، مناهجه، طرق تدريسه، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٩٨٥م.

١٨. مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم ، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢

١٩. المنطمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو): الموقع الرسمي تاريخ الزيارة: ١/ ٩/ ٢٠١٦
http://www.isesco.org.ma/ar/standardized-quranic-script

٢٠. ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٩٣.

٢١. نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة – الكويت، ع ٢٦٥ يناير ٢٠٠١م

٢٢. هاني إسماعيل محمد: دور تعليم اللغة العربية في ترسيخ الهوية العربية رؤية استشرافية، مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث الإماراتية، ع٩١، سبتمر ٢٠١٥.

23. David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell, 6thed, 2008
24. Ergan, osman (1977) TürkiyeMaarifTarihi. Istanbul: EserMatabaası, https://istatistik.yok.gov.tr/yuksekogretimIstatistikleri/2015/2015_T3_v2.pdf

25. Kartalcık, Vedat (2009) GeçmiştenGünümüzeTürkDünyasındaAlfabeGelişimi. In: 1st International Symposium on Sustainable Development, June 9-10, 2009, Sarajevo, Bosnia and Herzegovina.
26. MilliEğitimBakanlığı, (2016) . MİLLÎ EĞİTİM İSTATİSTİKLERİ ÖrgünEğitim 2015/'16, Ankara: MilliEğitimBakanlığı.
27. YÖK, ÖğretimYılıYükseköğretimİstatistikleri 2014-2015, Retrieved Mays 13, 2016 from https://istatistik.yok.gov.tr

المحتـــــويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

تعليم العربية لغير الناطقين بها : رؤية استشرافية

إن الأمة التي تفتقد لغتها تفتقد وجودها، وتهدم كيانها، وتطمس تراثها، وتصبح أثرا بعد عين، وهذا يفسر لنا الجهود الحثيثة التي بذلها العدو لتهميش اللغة العربية في مقابل لغته الوافدة.


ISBN 978-605-82363-0-1
9 786058 236301

منشورات
المنتدى العربي التركي
٢٠١٧